مهرجان القراءة للجميع (٢٠٠١) مكتبة الأسرة

د. مصطفى عُبدُالغنى حقيقة الغرب

بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية

الأعمال الخاصة





الهيئة المصرية العنامة للكتاب

اهداءات ۲۰۰۲

د/ مصلفی عبد الغنی

القاسرة

# حقيقةالغرب

بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية

### لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: المجهول لا يزال التقنية: ألوان زيتية على سلويتكس منيركتعان (١٩١٩ - ١٩٩٩)

فنان مصرى ولد فى القاهرة ، ويعد من أوائل التجويد الأوائل .
 عمل كفنان صحفى، فابتكر أول لوحة تجريدية له فى ١٩٤٥،
 وأول لوحة كولاچ فى ١٩٥٣، وهو من أول المجددين الدائمين
 فى الفن التشكيلى .

- حاز على الجائزة الأولى (تصوير) فى أول بينالى عربى دولى ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون ١٩٩٦ ، أقام وشارك فى العديد من المعارض المحلية والدولية : بينالى ساو باولو بأمريكا اللاتينية ، وبينالى البندقية ، ومتحف الشعب بألمانيا ، وباريس ، له مشروع جداريات مطار جدة الدولى ، وبينالى الرياض الدولى بأسبانيا ، وجدارية الأكاديمية المصرية بروما ، وهو فنان قدير استطاع تصوير الملاحم الشعبية مسجلاً مناظر القرية والمدينة والإنسان والحيوان والنيل والبحر والمساجد والأسواق والمقاهى والأعياد والموالد والسيرك والحروب والمجاذيب فى تشكيلات غاية فى الروعة . يضاف إلى ذلك تميزه فى رسم صفحات المنتصف لسنوات عديدة يمجلة آخر ساعة .

محمود الهندي

# د.مصطفى عبد الغني

# حقيقة الغرب

بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية

طبعة خاصة يصدرها



ضمن مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة



# مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الاسرة

برعاية السيدة سوزاق مبارك (الأعمال الخاصة)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

الفنان : محمود الهندى العام :

المشرف العام :

بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية

حقيقة الغرب

والإشراف الفني:

الغلاف

د. مصطفى عبدالغني

د. سمير سرحان

# على سبيل التقديم ،

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب في المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها في تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها مكتبة الأسرة، السيدة سوزان مبارك التي لم تبخل بوقت أو جهد في سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها . . جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر في متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادي وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع في صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة في مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالا وشبابا وشيوخا تتوجها موسوعة مصر القديمة، للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة وقصة الحضارة، في (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب في البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً في عصر المعلومات.

# د. هـ مير سركان

# إهداء:

إلى

سليمان الطبى

شغيد الحملة الفرنسية

وإلى

أطفال بحر البقر وملجا العامرية وقانا و ...

وانتفاضة الأقصى

شغداء العملة الأسريكية

# نزوم مايلزم

ها نحن نحتفل هنا - والأن -

بعام الجلاء (۱۸۰۱ - ۲۰۰۱)

بعد أن خدعونا طويلاً

بعام الفزو وضراوته (۱۷۹۸ - ۱۹۹۸)

هذه حقيقة الغرب وأقنعته أيها السادة ..

### مقدمة

وجوه كثيرة للغرب ..!؟

الوجوه الكثيرة ، حقيقية . . بشعة وقبيحة نلتقى بها منذ عرفنا هذا الغرب حين جاء على مدافع بونابرت (وليس مطبعته كما يزعم البعض وما أكشرهم -) في نهاية القرن الشامن عشر ، وتوالت في صور شوهاء حادة جافة بدت في ذروة اكتمالها مع نهاية القرن العشرين حيث نعيش جميعاً محاولة الغرب لإعادة رسم خارطة الكرة الأرضية بطريقته الخاصة ، بطريقة اقتصاد السوق

ليس بطريقة الحضارة أو الديموقراطية أو حقوق الإنسان . . إلخ كما يزعم.

وتتعدد الوجوه . .

فهذا هر وجه (النظام العالمي الجديد) بتعبير جورج بوش عقب حرب الخليج الثانية ٩٠ / ٩١ م للهيمنة على العالم و"أمركته"

وهذه هي لوحة (نهاية التاريخ) بتعبير فرانسيس فوكوياما حين حاول أن يراوغنا من شرفة وزارة الخارجية الأمريكية بألوانه وتنظيراته الداقة .

وهذا هو 'كروكي' (صراع الحضارات) لصمويل هنتنجتون الذى خرج لأول مرة من «فورن أفيرز Foreign Affairs» مجلة الشئون الخارجية الأمريكية قبل أن يعود العام الماضى - ١٩٩٦ - لتجسيد خطوطه في كتاب ضخم حاول به التأكيد على وجود العدو الحقيقي للغرب وهو كما رآه ونظر له - في الإسلام . إنها وجوه كثيرة دالة ترسم خلفها جميعاً صورة هذا الغرب الذى يحاول أن يخدعنا ، فيزيد من قبضته علينا ، مردداً عباراته التى لا تخلو من معنى (العولمة) وحوار الحضارات و (الكونية) و (الكوكبيمة) و (الخداثة) و (ما بعد الحداثة) . . إلخ .

الغرب الجزار .. نعم .. إنها حقيقة الغرب كما نراها على غلاف هذا الكتاب .. ألجزار الذى لا يتردد فى استخدام (الخازوق) مرات كشيرة فى علاقاته بأبناء الدول الأخرى من المعتسرضين أو المناوئين لحكمه وإرهابه ، وهى تأتى كلها على شكل شهادات على حقيقة الغرب .

ولنقرأ هذه الشهادات بأعصاب قوية ، لنرى ، حقيقة الغرب كما يجب أن نعرفها .

# الشهادة الأولى:

حين حمل الغرب الفرنسي سليمان الحلبي المناضل الكبير ابن سوريا إلى الخازوق في مصر المحتلة (وهو ما رسموه لنا بيد فنان فرنسي على صورة الغلاف) . .

كان المناضل العربى قد اغتال أحد جزارى الغرب - كليبر - مدافعاً عن كرامة الأمة العربية ، وفي الساحة التي تم فيها حرق يده وتثبيته في الخازوق وقف ضابط فرنسى كان شاهد عيان عما حدث ، وقال بالحرف الواحد ، مما هو مسجل في الوثائق الفرنسية عن سليمان الحلبي :

( . . ) يُطِح أرضاً وشق شرجه وأدخل فيه الخازوق وربطوا ساقيه وفخذيه
 ويديه وجسمه . . ودفع الخازوق . . وهو ثابت . . ) .

### الشهادة الثانية:

حين اعترف انحتل البريطاني في مصر - إبان الاحتلال البريطاني لها

- بأنبه قد استخدم الخازوق بشكل رسمى وشرعى ضد المواطنين العرب في مصر من العزل، يقول بلانت أحد الإنجليز في مصر بالحرف الواحد:

( . . بموجب مسرمسوم 1840م يمكن الحكسم بالموت على أى منصسرى وإعدامه صلباً أو على الحنازوق لجبرد أنه امشعص من اعتشداء جندى بريطانى على عرض زوجته أو أنه حالً دون ذلك . . )

### الشهادة الثالثة:

وهذه الشهادة لها أهميتها القصوى إذ إنها تأتى من أحد المثقفين الغربين المهمين فضلاً عن أنها تتحدد حول النموذج الغربى - كأبشع استعمار - في سلسلة الاستعمار الغربي ، إن نعوم شومسكى في كتابه المهم "ماذا يريد العم سام" What UncleSam Really Wants حيما يريده العم سام من الشعوب المغلوبة على أمرها ، وماذا سنفعله للحفاظ على المصالح المالية الأمريكية ، فإنه يجيب في كتاب كامل بأنه:

. . يستخدم وسائل العنف من تهشيم الأطفال الرضع ، أو تعليق النساء من أقدامهن ، وقطع أثدائهن ، وسلخ جلودهن أو قطع رءوس الضحايا – يضيف – ووضعهم على خازوق . . . .

هذا هو كل ما يقدمه الغرب.

وهذه ثلاث شهادات ( لحقيقة الغرب) ، وهي حقيقة تعود إلى كراهيته العميقة لنا ، إلى درجة استخدامه لأبشع آلات التعذيب ، ومعاملته لنا بتحيز تام سواء في استخدام الخازوق بشكل مباشر ( كما هو مع سليمان الحلبي ، أو الفلاح المصرى الأعزل . . ) أو بشكل غير مباشر – كما سنرى من فصول هذا الكتاب .

إنه (الخازوق الفربي) . .

إن الخازوق يستخدم كثيراً ، سواء في إصرار الغرب أن تكون التنمية الاقتصادية - تنميتنا - تابعة له تماماً (ولدينا عشرات من الاتفاقات ليس آخرها الجات ، أم في استخدامه معنا لكل صنوف الإرهاب ، حتى أصبح - أى الإرهاب - بشهادة الغرب نفسه - صناعة غربية ، أو في تزويره للتاريخ بدأب ووقاحة رغم ظهور عدد من مؤرخي (المدرسة الجديدة) في الغرب ، أو ظهوره السافر خاصة في الفترة الأخيرة عبر العنصرية الغربية - خاصة في يمينها المتعصب - مظهراً معادياً تماماً لنا (ولنواجع على سبيل المثال تشويه مقدساتنا الإسلامية ورسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالرسومات الكاريكاتورية أو تمزيق القرآن أو استخدام آياته في الملابس النسائية الداخلية!! ، أو النيل من السيدة مربع وتصويرها تصويراً عنصرياً . . إلخ) .

لا يستثنى من هذا عسكرى مثل اللورد اللنبى الذي كان - كما تقول الصادر الغربية - يقرأ في كل ليلة في كتابين أحدهما الإنجيل

أو كاتباً مدنيا وأستاذاً جامعياً مثل برنار كما تقول أبحاثه المعمقة ، وخداعه للكثير منا أنه يحاول أن يعيد التاريخ العربي بصيغة غربية أو صهيونية خالصة .

نجد هذا فى إسرائيل كمما نجده فى الغرب (وهى إحدى طلائع المركزية الغربية المنغرسة فى اللحم العربى) .. فإسرائيل ليست غير المركزية الغربية فى سياقها التاريخى ، ولو لم يأت الصهاينة لاحتلال فلسطين ، لأتى الغربيون أنفسهم ، والأسماء كثيرة والذرائع عديدة - لاحتلال فلسطين العربية .

ومن يستريب ليتذكر معنا (ويمضى هذه الأيام نصف قرن على النكبة) مجازر دير ياسين وكفر قاسم إلخ

ومن يستريب يتذكر معنا أن أطفال (قانا) وأبناء (النبطية) وقبل

ذلك أبناء وبحر البقر، الذين ذُبحوا بأسلحة أمريكية ، وبصمت أمريكي خالص ، والوثائق موجودة ومعلنة في أكثر من عاصمة غربية ولا تحتاج للبحث أو الدهشة .

وحين نتذكر "دير ياسين" أو "قانا" . . والبقية ستأتى ولن تتوقف - يجب أن نتذكر ، بنفس الشكل ، كل المذابح العربية الأخرى من قبل الصهاينة أو الأمريكان التي يستخدم فيها الخازوق :

إما بالشكل السافر كما عرفناه في الحملة الفرنسية .

أو الشكل غير مباشر كما عرفناه - ونعرفه في ممارسة أحدث أسلحة الترسانة الغربية ، وهي الأمريكية في عصرنا الأخير .

نجد هذا في الماضي . . كما نجده في الحاضر .

نجد هذا في الحاضر . . كما سنجده في المستقبل .

نجد هذا في بلادنا ضدهم . . أو نجد هذا في بلادهم ضدنا

إنها حقيقة الغرب التي لا يجب أن. . يخدعنا لحظة باسم المعلوماتية . .

إنه (اقتصاد السوق) وليست الحضارة الغربية بأية حال.

米米米

بقى أن أشير إلى أن هذه الوجوه أو الفصول التى احتوتها هذه السطور حاولت أن أكتبها في الواقع المعاصر ، وعبر الاسترشاد بنبض هذا الواقع الحي في نهاية القرن العشرين .

وكان سبيلى إلى ذلك التماس جملة من أفكار الجماعية -Aqele من حداد الجماعية -Aqele كأحد أدوات البحث ، إذ حاولت الاسترشاد بأفكار الغالبية من القراء والمعلقين المحاورين لنا من شتى الفئات الثقافية . . فهذه الفصول كانت قد نشر أغلبها في صورة مقالات بجريدة الأهرام بين ربيع صيف ١٩٩٨م إبان اشتعال أوجه الخلاف بين المؤيدين للاحتفالية بمرور

مائتي عام على مجيء الحملة الفرنسية (وقد اتخذت في البداية شكل اتفاق ثقافي رسمي) ، وبين المارضين لها .

ورغم أن الحوار الحاد كان يعكس الخلفية الثقافية والسياسية ، فقد جهدت منذ البداية أن أدرس الحملة الفرنسية في ضوء الحاضر ، وليست جسماً منقطعاً عن بقية الأجزاء العضوية للتاريخ المصرى بأية حال .

وقد يكون من المهم أن أشير إلى أن ما كان ينشر في «الأهرام» كنت أستعيده في وقته وأحاول إعادة كتابته من منطلقات كثيرة كانت تحتمها الأحداث ، وتغذيها ردود الأفعال ويؤكدها الفعل الغربي .

أردت أن أرى الحاضر في مرآة التاريخ .

واعترف أننى لم أهتم - منذ البداية - بالموقف الرسمى ، أو الموقف المضاد له بقدر ما اهتممت برأيى فى هذا المجال كدارس (حصلت على الدكتوراة فى التاريخ الفكرى) كما أن لى جهداً سابقاً حول علاقة الغرب بالشرق فى كتاب صدر عن الهيئة العامة للكتاب فى ربيع المغرب بالشرق فى كتاب صدر عن الهيئة العامة للكتاب فى ربيع وهذا استطراد للاعتراف - اكتشفت أن الرأى العام الجماعى يقترب منى ، أو أقترب منه ، ولم يلبث - حين بدأت هذه الكتابات - أن اقترب أكثر ليحتل مساحة شاسعة فى فكرى ، لا لكثافته وتردده فقط ، وإنما لإيمانى أن الكاتب لابد أن يكون معبراً عن الرأى العام ، معارضاً للسائد والمتخلف .

ومن هذا ، وجدتنى أقف فى معسكر واحد مع هذا العقل الجمعى الذى تفهمته وحاولت تمثيله على قدر الإمكان ، ومن ثم - وهو اعتراف آخر - اكتشفت أننى لا أقف فى معسكر العديد من المثقفين الذين يجب أن يتخذوا مواقف واعية للتعبير عن شعوبهم ، وهو ما توغلت فى اكتشافه أكثر ، حين وجدت عنوانات مقالاتى تحمل ألفاظاً من نوع

(رطانة المثقفين) تعبيراً عن الفكر الذي يحاول أن يعبر عنه غالبية من المثقفين .

كان ( . . المسيخ الدجال) ، وهو عنوان ، تعبيراً عن هذا المشقف الذى اقترب إلى حد بعيد من هذا الكائن الذى يتحدثون عنه في الماضي رابطاً بينه وبين المثقف المعاصر .

وكان هذا جزءًا من اكتشافى لأنماط من المتقفين فى عصر (العولمة) فى نهاية القرن العشرين لم أكن لأعرفهم قط قبل هذا ، لم أعد أعرف نمط المثقف المتمرد أو الصامت ، وإنما هو نمط آخر من المثقفين اقترب من مثقف ينتصر لاقتصاد السوق أكثر من الهوية الثقافية (وقد أسهبت فى هذه الأنماط فى بحث ألقيت فى ندوة : العولمة) التى أقامها المجلس الأعلى للثقافة إبان هذه الفترة .

كان عدد كبير من المثقفين يرون في الجملة ملمحاً يغاير الصورة العامة ، لم يدركوا – قط – أن الحملة الفرنسية لم تكن غير أحد آليات المركزية الغربية في القرن الثامن عشر ، ولم يدركوا – قط – أن المركزية الغربية مازالت تجد في عدوها في القرن العشرين (غالباً في الشرق) . . عدوا أزليا لا تاريخيا – وهو مفهوم رددته مارجريت تاتشر (رئيسة وزراء إنجلترا السابقة) عقب سقوط الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينيات وهي تشير إلى الإسلام .

ومن هنا ، حاولت - فيما أزعم - التعبير عن الأفكار الجماعية أكثر من التعبير الفردي .

لم أحاول أن أحبس قلمى فى قسقم التاريخ بقدر ما سعيت إلى القبض عليه فى رياح العولمة وآلياتها الشرسة .

و ثمة استطراد أستأذن في التوقف عنده هنيهة :

سعيت إلى التماهي مع الضمير الوطني أكثر من الانضمام إلى هذه

الجوقة التى راحت تضرب سلاماً جماعياً للنظام ، رغم أن النظام نفسه لم يعين نفسه وصياً على هذا المثقف أو ذاك ، ورغم أن النظام - وأشهد على ذلك - لم يحاول التدخل فى التأثير فى هذا الطرف أو ذاك إبان الجدل الذى دار حول الحملة الفرنسية (ومن المهم أن أشهد أيضاً أن النظام لم يحاول - وهى تجربة شخصية - التدخل قط بينى وبين التعبير عن الاشمئز إز من المركزية العنصرية والموقف الأمريكي ، وسرد مرجعياته ، ومواقفه القبيحة منا ، كما لم يحاول أن يؤثر فى هذا الطرف أو ذاك فى قضايا كثيرة كقضية التطبيع مع إسرائيل . . وقضايا أخرى ليس مكانها هنا) .

المهم أن المثقف الفرنسي والمتفرنس كان ملكياً أكثر من الملك . . كان يدافع عن دور لم يطلب منه فيه أن يكون مؤيداً له .

ونترك الاستطراد إلى ما بعده .

لقد سعيت إلى التعبير الذاتى على اعتبار أن الفكر الفردى غالباً ما يكون تعبيراً عن أفكار الجماعة وهو ما نلاحظه فى هذه الفصول التى لم أتردد فى قبول عديد من الآراء والرسائل فيها أو الوثائق التى كانت تأتينى من المثقفين والقراء على شتى فئاتهم ، ثم أدخل حواراً معها بالسلب والإيجاب .

لم أقتصر على وجهة النظر المعادية للغرب بقدر ما تقبلت وجهة النظر الأخرى ، المغايرة لرأيى ، التى رأت فى الحملة الفرنسية فائدة حضارية ، ومن ثم ، فائدة فى تطوير المد التاريخي لنا وأثبت هذا فى وجهات النظر سواء فى المن أو فى الملاحق بعناية فائقة .

\*\*\*

وحين يأتي الحديث عن الملاحق ، فإنني أدافع عن وجهة نظرى التي دعتني إلى تخصيص هذا الجزء لأضع فيه كل ما يضيف إلى الفصول لتأكيد الحدث ، إيماناً منى أن عصر الصورة لا يمكن أن يتراجع ثانية ، وإن الصورة أصبحت أكثر المؤثرات التى تسهم فى تكوين الرأى العام ، ولو استطعت التعبير أكثر بالصور والوثائق لفعلت . أما عن المصادر الأساسية أو المراجع التى عدت إليها ، فإنها أكثر مما أستطيع إثباته هنا ، ومن ثم سأكتفى بالإشارة إليها في المتن ، على أمل أن الإشارة تعيد – لمن يريد – المرجعية العلمية أو التاريخية ، خاصة أننى حرصت على ألا يكون فى ذكر هذا المرجع أو ذاك موضعا للبس ، لقد كانت المرجعيات يكون فى ذكر تها من الوضوح بحيث لم أكن قلقاً بشأنها ، كما كانت المرجعيات المجنزئات من الدقة بحيث عبرت عما أريد .

بقى أن أشير إلى ملاحظة لا أعرف مدى أهميتها في هذا السياق ، وربما يكون في ذكرها إفادة في الاقتراب أكثر ثما أريد .

فقد كان صاحب هذه السطور (شاهد عيان) للكثير منها سواء لاشتراكه في الحرب ضد إسرائيل لسنوات امتدت ما بين ١٩٦٧، ١٩٧٣ ، أو سواء لاشتراكه في عديد من المؤتمرات أو الندوات أو المهرجانات التي أقيمت في عواصم عربية كثيرة وقد كان مشاركا لها في عديد من العواصم بحكم عمله ككاتب وكناقد عربي من مصر

وقد حرصت فى هذا كله على تسجيل ملامح الوجه الغربى القبيح لهذا الغرب عبر تسجيل الأحداث وتتبعها وإعادة النظر فيها مثل (جبرتى) القرن الماضى حين وقف فى مفترق ليشهد المنطقة العربية وهى فى مفترق الطرق بين ماضى وحاضر ، وهى تعانى ما يعانيه من يقف فى مثل هذا الموقف من الانبهار والدوار ثم الوعى والفعل .

وأعتقد جازماً أن عملية تنمية الوعى لدى كانت قائمة على المعرفة ، فقد أصبحت المعلومات الآن أهم عنصر في إعادة تكوين الوعى ونحن قد دخلنا بالفعل إلى القرن الواحد والعشرين فسأرجو أن أكون قد كشفت عن بعض وجوه هذا الغرب القبيح . .

أو أكون قد لفت النظر أكثر إلى (الخازوق) ليس (خازوق) سليمان الحلبى فقط، فقد كانت هذه الآلة العنيفة رمزاً لعديد من (الخوازيق)

التي يجلسنا الغرب عليها الآن برضانا !! ولازال ٠

د . مصطفى عبد الغنى

# بين نابليون وعبد الناصر

دهشت أن يقرن البعض بين الحملة الفرنسية والدور المصرى في اليمن تحت مفهوم «دهاء التاريخ» - مفهوم هيجل.

ومصدر الدهشة ما ذهب إليه من أن المقارنة بين الحملتين - حملة نابليون وحملة عبد الناصر إنما هما متساويتان في التأثير الإيجابي ، وهو ما وصل به إلي نتيجة مؤداها أن «الجيش المصرى حين ذهب إلى اليمن قد فعل شيئاً عمائلاً لما فعله جيش نابليون عندما غزا مصر ومعه المطبعة ومئات من العلماء المتخصصين في شتى فروع العلم ، والذين جعلوا من تلك الحملة بداية لإعادة اكتشاف مصر . . فقد اصطحب الجيش المصرى معه إلى اليمن مئات من المدرسين والأطباء والمهندسين فكانت تلك هي بداية وعي الشعب اليمني العريق بالعصر الحديث . .

فهو يرى أن هذا هو ما سيحتفظ به التاريخ للحملة الفرنسية على مصر ، وللحملة المصرية على اليمن ، وهو شيء يستحق على حد قوله الاحتفال .

هنا كانت دهشتى الكبرى ، خاصة فى استخدام كلمة الاحتفال بعد هذا الجدل التاريخى ، فنحن لا نستطيع مقاومة أنفسنا من هذا الشعور بالدهشة الذى يربط فيه بين فرنسا ومصر فى فترتين مختلفتين وبتوظيف مفهوم (دهاء التاريخ) للوصول إلى مضمون مغاير فهناك فارق كبير بين دوافع مصر ودوافع فرنسا فى كل حالة .

فالواقع أن مصر لم تكن - أبداً - كفرنسا من حيث نوازعها. الإمبريالية الصرفة كما أن اليمن لم تكن - أبداً - كمصر في الهدف الذى ذهبت من أجله مصر إلى هناك ، كذلك فإن مصر كما يردد الكثيرون الآن - لم تكن جثة هامدة ، ظلت هكذا طيلة قرون عديدة حتى جاءت الحملة الفرنسية فبعثت فيها مس الكهرباء ليبدأ البعث من جديد .

هل هذا معقول ؟

وهل قدر علينا أن نتحدث دائماً في قضايانا - بشكل جدلي -يتحول مع الخواطر الشخصية أو التأملات الفلسفية إلى يقين يفسر التاريخ ويغيره أنه لا طريق آخر أمامنا . .

\*\*\*

والطريق يسهم في تأكيد أكثر من اتجاه:

- فالحملة الفرنسية كانت استعمارية .
  - كما أنها لم تأت إلى مصر الغائبة .

أما أن الحملة كانت استعمارية ، فتنفق المصادر التاريخية على هذا فإن الدول الغربية شغلت منذ القرن الخامس عشر بالكشوف الجغرافية التى تحولت إلى صراع استعمارى وطوق للسيطرة على الشرق ، وخاصة أن الصراع بين فرنسا وإنجلترا كان مبعشه - في المقام الأول - السعى الخثيث للسيطرة الاستعمارية على مصر لموقعها الجغرافي ومركزها الملاحى .

ومراجعة الحقبة التى سبقت هبوط نابليون بحملته على بر الإسكندرية فى ٢ يوليو ١٧٩٨ ترينا أن عدداً كبيراً من الكتاب والرحالة والقناصلة والسياسين (منهم سانت بريست وجان بابتيست مور ودى توت وسفارى وفولنى . . إلخ) كتبوا إلى حكومتهم الفرنسية لاستعمار مصر صراحة ، فقد ظل هؤلاء وهم يشيرون إلى ضياع عديد من المستعمرات الفرنسية فى جزر الهند الغربية ، ويلحون كثيراً على أن مصر ، ومصر بوجه خاص ، هى الميدان الذى تستطيع فرنسا أن تجد فيه حاجاتها التى كانت تستصدها من جزر الانتيل . . فضلاً عن أن (الاحتلال) أو (الاستيلاء) أو (الاستعمار) وهى كلها مفاهيم رددت كشيراً طيلة القرن الثامن عشر تجعل التجارة بين فرنسا وبقية أقطار الشرق فى متناول اليد بدلاً من المشكلات التى تعانيها فرنسا فى غيبة وضع يدها على هذه البلاد ، بل أكد بريست صراحة – وهو سفير فرنسا فى القسطنطينية – على أن «الاستيلاء على مصر أمر لا مفر منه خدمة المصالح الفرنسية » .

وقد لاحظ فؤاد شكرى فى كتابه عن الحملة الفرنسية ، أن فكرة الاستعمار وصلت إلى مداها باحتدام الصراع بين فرنسا وإنجلترا ، فاقترن الانتقام من إنجلترا بفكرة استعمار مصر ، لم ترسل حكومة فرنسا حملتها «للانتقام من إنجلترا فحسب ، بل ولإنشاء مستعمرة فتية في مصره ، إذن كان نابليون يمضى حشيشاً في طريق إحياء «مجد فالإمبراطورية الاستعمارية» .

فرنسا جاءت - إذن - مستعمرة (بكسر الميم) ، فكيف كانت مصر غائبة الوعى ؟

عندما نعود إلى الجبرتى – مؤرخ هذه الفترة – يلاحظ أن مصر قبل مجىء بونابرت لم تكن أبداً بلداً يغيب فيها الوعى ، وتعيش فى كساد تجارى أو اقتصادى قط ، فهذه الطبقة الجديدة التى تكونت عبر العصر العثمانى رغم كل سلبياته كانت من التجار والزعماء وعلماء الدين ، كانت مصر فى طور التطور ، بحكم تطورها الفكرى والدينى (سوف نعود إلى ذلك أكثر عبر كتابات بيتر جران وعبد الرحيم عبد الرحمن وأندريه ريمون ونيللى حنا التى ترجم عنها د . رؤوف عباس فيما بعد – وهو ما سنعود إليه ) ، بل لولا التطور الذى كانت تشهده مصر قبل

مجىء الفرنسيين ما كان يمكن أن نجد هؤلاء العلماء المصريين وهم يتصدون للحملة ويقاومونها دون توقف .

كانت الحملة الفرنسية إذن تسعى إلى الاستعمار فى المقام الأول كذلك كان نابليون ، الإمبراطور ، يسعى - بوضوح أكده كل من كتب عن هذه الفترة - إلى تكوين الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية فى الشرق فهل كان عبد الناصر هو نابليون ؟

لنر الإجابة ونحن نستكمل دور مصر في اليمن . .

\*\*\*

وعبوراً فوق أحداث كشيرة تشير إلى انقطاع اليمن الطويل عن العالم ، فقد كانت اليمن في بداية الستينيات تواصل محاولات الانتفاضة ضد حكم الإمام الذي تحالف فيه التخلف مع الاستبداد مع الجهل ، وبدت اليمن قطعة من العصور الوسطى .

وعلى هذا النحو ، تحرك عبد الناصر لمساندة اليمن فور إعلان الثورة فيها ، فإن مشروعه / مشروعنا القومي كان ينتابه التراجع من الدول التي كان في سبيل إقامة وحدة عربية معها ، كان الانفصال قد حدث ، وانتهت أواصر أول وحدة عربية في التاريخ ، وراحت الخلافات مع العراق تزيد ، بل إن اليمن الذي كان قد أعلن في بداية إعلان وحدة مصر وسوريا انضمامه إلى هذا الاتحاد ، كان في سبيله الآن ليتراجع أيضاً ، ويتمرد على القوى الصاعدة ضد الاستعمار وفي العالم العربي في ذلك الوقت .

ورغم أن القوى الانفصالية والرجعية كانت قد تصاعدت ، فإنها كانت تقف فى موقف ضعيف بهذا التفكك الذى أحدثت ، وهذا النكوص الذى لم تستفد منه غير القوى الغربية (كانت الأمركة فى هذا الوقت فى خطواتها الحشيشة للاستحواذ على العالم وتمزيق القطب

الآخر، خاصة ، أن الدولة الثانية التي اعترفت باليمن بعد مصر كانت الاتحاد السوفيتي) . . كان الواقع العربي يفرض نفسه .

لم يكن نابليون قد جاء إلى مصر بطلب من المصريين ، ولكن الأمر اختلف هذه المرة لقد جاء عبيد الناصر إلى البيمن بطلب من القوى الشورية فيها ، بل إن هذه القوى خطت إلى أبعد من ذلك حين ركزت الشورية فيها ، مل إن هذه القوى خطت إلى أبعد من ذلك حين ركزت طلباتها من مصر في سرعة الاعتراف ، وسرعة وصول قوات مسلحة لتقف إلى جانب القوات الثائرة بصنعاء ، وتحارب معها معركة التحرر العربي ضد القوى الرجعية في المنطقة والقوى الغربية في الشمال ، وزادت فطلبت دعماً أكشر تمثل في: إسهام في الإدارة ، ودعم في وزادت فطلبت دعماً اكشر تمثل في: إسهام في الإدارة ، وحم في الإعلام، وسرعة في التلبية . (يقول التاريخ إن مصر بادرت فعلاً في نهاية سبتمبر ١٩٦٧ فأعلنت اعترافها بحكومة الثورة ، وعلى الفوات أرسل عبد الناصر برقيته إلى رئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة هناك بأن مصر تقف «إلى جانب الشعب اليمني لتسند إرادته المسلحة في الحياة») .

لم يكن عبد الناصر يسعى إلى إمبراطورية مصرية كما كان يسعى نابليون هناك .

كان عبد الناصر بوضوح شديد يسعى إلى تأكيد الفكر القومى فى هذا الموقف فى مواجهة القوى الشرسة سواء من قبائل الصحراء المجاورة لليمن أو من الشمال حيث الغرب كله كان يسعى إلى إجهاض المشروع العربى فى هذا الوقت (كشفت الوثائق – فيما بعد - أن خطة اصطياد «الديك» - عبد الناصر - وُضعَتْ فى واشنطن حينئذ) .

كنان المشروع العربى يواجه المشروع الإمبيريالي الأمريكي في الستينيات من هذا القرن ، عماماً كما حاولت مصر ، في نهاية القرن الثامن عشر أن تواجه المشروع الاستعماري الفرنسي .

كان البون شاسعاً بين التوجهين . لم يكن نابليون هو عبد الناصر أبداً .

安米的

لقد خدع نابليون المصريين حين راح يؤكد أنه ما جاء إلا لوضع مصر في مصاف الدول المتقدمة ، ولكى يقضى على المماليك الذين أذلوا أهل البلاد واستولوا على خيراتها .. بينما كان عبد الناصر يعبر عن القيم التقدمية التى نادى بها سواء من صوت العرب منذ سنوات ضد القوى الرجعية في اليمن أو سرعة الاعتراف بالثورة ، ثم في إعلان قيام قيادة مشتركة تعمل تحت القيادة العليا لقائد الثورة اليمنية نفسها ، ووضع لها اتفاقاً استمر لخمس سنوات .

كان نابليون في أول الأمر يسعى إلى احتىلال إنجلتوا ، ثم تغيرت خطته - أمام عديد من الصعوبات - لاستعمار عديد من الدول الاستراتيجية ليقطع الطريق على إنجلترا في مستعمراتها . أما عبد الناصر ، على العكس ، كان يسعى إلى تأكيد إيمانه بالقومية العربية وضرورة تحرير كل أجزاء الوطن العربي من الرجعية والتخلف والاحتلال .

كان نابليون يسعى إلى تأسيس إمبراطورية استعمارية .

كان عبد الناصر يسعى إلى محاربة أية إمبريالية استعمارية .

سعى نابليون لإجراء عديد من الإصلاحات لصالح المستعمر أو - إذا أحسنا التقدير - لاستمالة الأهالي ليظهر بمظهر المتمدين ، والذي يبحث عن مصالح أهل البلاد .

أما عبد الناصر ، فقد سعى حثيثاً ، حين ذهبت القوات المصرية إلى اليمن ، ومنذ الأيام الأولى، إلى إقامة الإصلاحات ، بل الأكثر من ذلك، خلق نظام للخدمات لم يكن موجوداً في اليمن ، فأسهم في مد الطرق

وإقامة المطارات وخطوط التليفون والتلغراف والمستودعات والورش والمستشفيات وجميع الأنظمة الاقتصادية الأخرى . .

لم يبدأ نابليون التحديث حتى بطريقة دهاء التاريخ .

بدأ عبد الناصر التحرر والتحديث وسعى إليه .

安装装

بقيت صورة لا تخلو من دلالة:

قال نابليون وهو يقف على مشارف موسكو في نهاية القرن الثامن عشر: «هنا ينتهى التاريخ؛ أى أن التاريخ انتهى بانتصار الاستعمار الفرنسي.

وأشار افوكوياما الممثل الإمبريالية الأمريكية في نهاية القرن العشرين إلى (نهاية التاريخ) ..

وهو قسريب مما ردده بوش عسقب الذهاب (كنابليسون مع تغسيسر الظروف) إلى الخليج العربي تحت مسميات كثيرة أى أن التاريخ انتهى بانتصار الأمبريالية الأمريكية

فهل كان عبد الناصر هو نابليون ؟

وهل كان عبد الناصر هو بوش ؟

وما عملاقة هذا كله «بدهاء التاريخ» كمما يذهب بعض كسابنا المعاصرين .

سامحهم الله ♦

# رطانة المثقفين ال

منذ كتب عن الحملة الفرنسية وأنا أتابع ما يكتب عنها فأسمع شيئاً كالرطانة أو قريباً منها . . والرطانة (بفتح الراء وكسرها) في لسان العرب هو كلام لا يفهمه الجمهور ، وهو ما يعني أن أغلب ما كتب أو قيل يصور هذه الرطانة ويعكسها في المفهوم العام إما لتعدد الآواء وتباينها أو لتداخلها لتبدو كحشرجة المذياع بين المحطات الرئيسية . هذه الملاحظة لم أقصد بها لوم أحد ، وإنما هي (تقرير حالة) لموقف المثقفين اليوم وهو موقف يمتد ليصل إلى عديد من قضايانا التي نناقشها في الإعلام المكتوب أو المسموع أو المرئي ، فينتهى الأمر إزاء أية قضية تعن لنا ، بمعارك وهمية لا نصل فيها إلى جديد ، ونرى عبر صيحات (جنرالات المقاهي) الكثير من القضايا تتعثر قبل أن تسقط فلا يسمع أحد عنها بعد فترة لتبدأ معركة أخرى من موقع إعلامي أو ثقافي آخر . لقد تنامت إلى أصوات هذه الرطانة عبر أسلاك التليفون أو خطايات مكتوبة أو كتابات قر أناها جميعاً في الصحف ، وكان آخر هذه الأصوات وأعلاها هي التي سمعتها في (الملتقي الثقافي) الذي أقيم بالإسكندرية وأشرف عليه أحد رجال الأعمال ، واستطاع أن يجمع جمعاً ضخماً من الأساتذة والمهتمين من شتى الفئات لمناقشة (آثار الحملة الفرنسية ...) وحتى إذا ما انتهت الجلسة الأولى حتى اكتشفت أننى - مع تداخل الأصوات واختناقها - كدت أسقط أيضاً في الرطانة.

\*\*\*

وقبل أن أغيب أكثر في هذه الرطانة لابد من الإشارة إلى هذا الجهد

الكبير الذى قام به صاحب (مؤسسة أندلسية) من تجميع كل هذا العدد الهائل لمناقشة قضية يمكن أن تكون - لو تنبهنا للزاوية الخطيرة فيها -إلى أهم القضايا التى تناقش فى نهاية القرن العشرين .

والواقع أن صاحب الملتقى يعد استثناء بين رجال الأعمال المعاصرين الذين يتحدثون ليل نهار عن المشروعات التنموية الخاصة ، أو أعمال الخير التي يقال أنها تتم في الخفاء ، ولا بأس من الحديث العام في ندوات تعقد هنا أو هناك لرصد دور رجال الأعمال أن نسمع من بعض رجال الأعمال أن نسمع من بعض رجال الأعمال أنفسهم أنهم يقومون - ويقولونها بفخر شديد - بتشغيل أعداد من العاطلين مما يجعلهم يسهمون في حل أزمة البطالة مطالبين بالكثير من التسهيلات لبرامج الخصخصة .

لقىد لاحظت أن صاحب هذا الملتقى يعمل - منذ فترة ليست بالقصيرة - على تشجيع الثقافي لا الدعائى ، وقد دهشت أن أعرف أن هذا الموضوع - الحملة الفرنسية - يناقش فى ذلك الملتقى للمرة الرابعة (أحجم عن ذكر الأساتذة الفضلاء فى هذا الملتقى كيلا أنسى أحدهم ، وكلهم معرفون بالعلم وسعة الأفق) ، وإن شغل بها الغالبية من المثقفين الآن (وهى مثال لأية قضية من قضايانا الشائكة) ، فإن هذا لا ينفى أن لدينا - فى الوقت نفسه عدداً آخر من المثقفين الواعين ، غير أنها أقلية ، يكاد صوتها يذهب مع رياح الرطانة العالية ومن الملاحظ أن التأثير يكاد صوتها يذهب مع رياح الرطانة العالية ومن الملاحظ أن التأثير

米米米

إنها تعلو مرة إلى أقصى درجات المعارضة لمن يهاجم الحملة وتعلو مرة أخرى لتصل إلى أقصى درجات التأييد لمن يدافع عن العثمانيين . البعض يريد أن نفصل ما بيننا وبين تراثنا حتى نوصل ما بيننا وما بين الغرب . والبعض الآخر لا يريد أن يتزحزح عن القرن الثاني للهجرة كيلا نتفرنس ونقع في محظور الغرب وحضارته الآثمة.

وبين هؤلاء وأولئك درجات كشيسرة من الرفض والقبول والغصب والشجار . . إلى آخر هذه الهجائية التي تعلو فشصنع الرطانة وتغلو فنصبح بعير قضية تصل بنا إلى الرأى الصواب .

البعض يرى أن عصورنا الزاهية كانت في القرون التي شهدت وجود العثمانيين واستبدادهم . والبعض الآخر يرى فضل الحملة الفرنسية في أنها جاءت فأحدثت (الصدمة الكهربائية) التي دفعت بالجسد (الميت) إلى انبعاثة عاد بعدها إلى الحياة .

البعض يلوم وزير الثقافة لأنه أيد الاحتفالات بالحملة .

والبعض الآخر يرفض أن يكون الوزير فعل ذلك ، مقسما أنه سمعه - بأذنيه - يتهم من يؤيد الحملة بالخيانة .

إنها الرطانة تتكرر في كل ما نقرأ أو نسمع عن مجىء الحملة ، وخطورة الرطانة أنها أصبحت في حكم البدهيات ، والبدهيات يمكن أن تصبح مع مرور الوقت ، وتكرار الآراء أقرب إلى ضيق الأفق بما لا يمكن تغييره . فقد تعود الذهن العربي على التقليد ، وأصبح من المستحيل الإقلاع عن ما عرفه ، على اعتبار أن ما عرف أصبح بدهيا .

والبدهى نوع من أنواع الواقع يجب أن نتعود عليه ونعيش معه . وهو ما نستطيع أن نعدد معه هنا قضايا كثيرة أصبحت تتداول كأنها حسمت كالحديث عن قرار صدر للاحتفال رسميا بالحملة الفرنسية . أو منح منهجية فلسفية لقضية وهمية نوقشت تحت عنوان (دهاء التاريخ) أو المدى الذى أحدثته (الصدمة الحضارية) في أفهامنا إلى غير ذلك مما كانت تتحول القضايا معه إلى اتهامات يتصايح أصحابها لتذوب في هذه الرطانة مرة أخرى .

ومن هنا ، حرصنا أن نبتعد عن الرطانة ، وأن نبحث عن القضية الجوهرية . . وهو السؤال الرئيسي في القضية ؟

\*\*

بمتابعة ما كتب أو ما قيل ، وباستخدام عين الطائر ، لاحظنا أننا أمام ثنائية في الفهم : الاستعمار/ الحضارة ، لا تلبث أن تتوحد إلى قضية واحدة تعالجه - مع اختلاف وجهات النظر - بشكل محدد ، قضية تشير إلى الفرنسيين كمستعمر ، ولا تلبث القضية الأخرى أن تقترب أكثر فأكثر من الحضارة ، فيغيب المستعمر وويلاته التي عرفناها من مصادر عديدة إبان مجىء الحملة ويتحول إلى حضارة وحسب ، وإذا كانت تكاليف الحملة ثقيلة ، فإنه لا مناص من الاقتناع بها .

إنه الصراع بين الوطنية والحضارة .

والواقع أن المراهنة على أن الحملة الفرنسية جاءت كمستعمر - كما أشرنا من قبل - واقع لا يقبل المجادلة ، ففظائع الحملة تسود مراجع كثيرة من فظائع شبراخيت ومعركة الأهرام ، وصولاً إلى كل ما ارتكبه كليبر بفظائة لم نعرفها في عصر جنكيز خان من قبل ، كان يعب أن نقول - ونستريح إلى ما نقول - أن الغرب جاء إلينا في نهاية القرن الثامن عشر كمستعمر ، أرسلت الثورة الفرنسية وعصر التنوير من يبحث لها عن أسواق جديدة ومستعمرات غنية ومجداً مهيباً تواجه به ما ضاع أثناء صراعها من الإنجليز ، فكان الصراع بين الفرنسيين والإنجليز لظهور الحملة في مصر ، وما ترتب عليها من القتل والتسفيه والحرق وما إلى ذلك مما عرفناه في التاريخ الإنساني مما يتلاشي معه الأثر والحرق وما إلى ذلك مما عرفناه في التاريخ الإنساني مما يتلاشي معه الأثر

لم أكن في حاجة إلى أن أقرأ «ذكريات سانت هيلانة» أخيراً لأسمع صوت نابليون في بداية القرن التاسع عشر وهو يبدى ندماً شديداً على

تركه مصر ويكشف عن حلمه استخدام مصر كقاعدة لغزو الشام ثم العراق ثم فارس وحتى الهند وقد كان في نيته - كما تقول الذكريات أنه كان سيقوم بتكوين جيش مصرى من أبناء الفلاحين المصريين لإنشاء هذه الإمبراطورية الاستعمارية ، بل إنه لا يتردد في الكشف عن أنه كان قد أعد عدة مشاريع للعودة إلى مصر مرة أخرى بعد أن كان قد خرج منها بل وأرسل جواسيس لمصر تمهيداً لذلك الحلم الاستعمارى .

كما لم أكن في حاجة لأستمع إلى مواطنه - الفرنسي المعاصر ريتشارد جاكمون - وهو يقول: «المعروف هو وجود ارتباط بين السيطرة العسكرية والعلمية للمشروع الاستعماري إبان القرن التاسع عشر، .

كذلك لم أكن في حاجة لأمسك في يدى جريدة الحملة الحملة الفرنسية في مصر وأقرأ في الكودييه دى ليجبت العدد ٧١ (٧٧ بريريال - السنة الشامنة للجمهورية) وأمسك في اليد الأخرى عبد الرحمن الجبرتي (سنة خمسة عشر ومائتين وألف (\*)) عن مصير سليمان الحلبي ، وأقرأ:

جاء في الصحيفة:

ولقد اختارت اللجنة بالإجماع نوعاً من العذاب ، يستخدم في البلاد بالنسبة للمجرمين الكبار، ويناسب فداحة الجرم ، ولهذا فقد حكمت على سليمان الحلبي بأن يحرق معصم يده اليمنى ، ثم يضرس في مؤخرته وقد ليخترق أمعاده ، ثم يترك وحيداً وبه الوقد إلى أن تأتي الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده و ..»

وجماء في عجائب الجبرتي : (ولا يجب أن يخدعنا انبهاره بالعدالة الفرنسية المزعومة) :

 <sup>(\*)</sup> الجزء الثالث من عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرحمن الجبرتي ،
 المطبعة العامرية الشرقية ١٣٣٧ .

وأفتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى
 على الخنازوق لحين تأكسل رمت الطيور وهذا يكون فوق التل الذى بر
 قاسم بك ويسمى تل العقارب وبعد دفن سارى عسكر العام كليبر
 وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد ثم ...

ويهمنا في هذا الصدد أن نقول أنه في الوقت الذي نتحدث فيه عن حملات بونابرت وقسوته هو وخلفائه على الشعب المصرى الأعزل لا يجعلنا نغض الطرف عن حملات عثمانية سابقة كانت أكثر قسوة .

وهو ما يعنى أن ذكر عنف الغرب إنما لندلل به على أن حبضارة. العنف التي تحاول أن تبرر كل شيء بالعنف من أجل تأكيد وجود الرجل الأبيض واستحقاقه ، خاصة ، أن العنف كان متقدماً أكثر من العثمانيين ، فجاء موقفه على حساب قيمه والزعم بالدور الحضاري للرجل الأبيض وتنويره .. وما إلى ذلك .

إن العنف لا يجعلنا نكيل بمكيالين ونحن نرى الآن ، في معرض حديثنا عن قسوة الفرنسيين أن ثمة عنفا ومذابح ترتكب من بعض المسلمين على المسلمين وهو ما لانتكره أو ندافع عنه .

وإنما نحن بصدد الرفض أن نصدق ، مع البعض أن الحملة الفرنسية جاءت لتحضرنا ، أو أنها جاءت لتلقى بنا في طاحونة التمدين .

وفى جميع الحالات ، فنحن لا نهاجم جنود الحملة الفرنسية لحساب السلفيين ، وإنما لكشف الموقف الغربي العنصرى الذي يتخذه الغرب منا (سواء كان فرنسياً أو أمريكيا أو صهيونيا . . )

安存品

وعودة إلى ما سبق ، فلم أكن في حاجة لأن أؤكد - وقد دعيت للحديث في الملتقى الثقافي - أن الحملة الفرنسية ليست أكثر من حملة صليبية ثامنة (سبقتها الحملات الصليبية المعروفة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر) - على سبيل المال - وهو ما تعرفنا عليه في العصر الحديث في كثير من الأمثلة .

ثم ، ودون القفز على الأحداث ، ألا يعد ما يحدث الآن فى الغرب من بناء الفرانكفونية امتداداً مؤكداً لأهداف الحملة الفرنسية ، لقد أعلن الرئيس شيراك ، صراحة ، إبان تولى بطرس غالى لهذه المنظمة تحول الفرانكفونية من الثقافة إلى السياسة .

البحث عن الدور السياسي لا الثقافي هو هدف الرئيس الفرنسي . إذن هي الهيمنة الاستعمارية الفرنسية من جديد في عصر العولمة (الأمركة) .

وهل نحتاج إلى رطانة لتأكيد هذا ؟ \*

# الحملة الفرنسية / الأمريكية .. ١١

بيننا من يتحدث - لا يزال - عن ذكرى الحملة الفرنسية وكأنها بداية التحضر العربي في العصر الحديث ، ويغيب البعض - لا يزال - في رطانة افتقاد الوعي ورعونته .

وقد دهشت ، في المرة الماضية ، أن يغضب عدد كبير من المثقفين من لفظة (رطانة) التي استخدمتها ، وكأنني أعنى بها سوء النية ، أو النيل من البعض ، في حين أنها لم تزد – عندى – على أن تكون خلافاً في الرأى الذي يريد إفهامنا ولن نفهم أبداً أن الحملة الفرنسية جاءت بهدف تحضرنا نحن الخارجين من انحطاط العصر الوسيط – بالمناسبة ليس في التاريخ الإسلامي عصر وسيط ، كالتاريخ الغربي ، بين القديم والحديث . . وهو رأى لا نتفق فيه مع أصحابه ، فالحملة الفرنسية جاءت من الغرب ، وتحاول في امتدادها المعاصر عبر الغرب الأمريكي الوقح ضرب شعب العراق لتعيد العرب إلى الوراء . . الحملة التي تأتي من الغرب من آن لآخر تحمل هدفاً استعمارياً واحداً يتغير شكله وزمنه ولا يغير اتجاهه ومضمونه .

الحملة .. / الأمريكية الآن تسير في هذا السياق ، وهي قبل هذا وبعده تأتى من الغرب إلى الشرق . ولذلك ، كانت سعادتي بالغة بعديد من ردود الأفعال التي وعت هذه البدهية وأكدت عليها في تاريخنا الحديث وهو ما نتمهل عنده قليلاً .

\*\*\*

نختار من بين استجابات كثيرة جاءت إلينا رسالة من الإسكندرية ،

وبوجه خاص من ندوة (الحملة الفرنسية) ، وبوجه أخص من د . محمد صفوت لتمثيله لعدد كبير من المتقفين في هذه الأمسية ، جاء في رسالته بعد الديباجة :

( . . واسمح لي بعد قراءتي لقالكم الأخير النشور في جريدة الأهرام ١ ٢/١٦ / ١٩٩٨م تحت عنوان "الحيملة الفرنسبية ورطانة المتقفين" أن أشير إلى ما يلي: بوغم كل الندوات والتحليلات التي دارت حول الحملة الفرنسية فإن نابليون كان صريحاً وواضحاً في تعديد مهمته في مصر عندما قال وسأستعمر مصره ، لكن الشعب المصري وقص المهمة التي يدعى البعض أنها حضارية لنابليون ، وأدركت جموع الشعب آنذاك دون جدل أو لجاجة أنه قادم لاستعمار مصر فقاومته وأفشائته، وأصبح الصراع الفكري الذي يدور بين المثقفين منذ الحملة الفرنسية إلى اليوم يدور بين أمرين ، أولهما: الوطنية التي ترفض قيم الحضارات المتفوقة وترفض الاندماج فيها والتبعية لها ، وتعشبث بوجودها وذاتيتها وتراثها ، وثانيها : الحضارة الغربية التي تمثلها الاتجاهات التغريبية في المجتمع التي تعتبر الحضارة أو التقدم كل لا يتجزأ ، فإذا أردنا حضارة الغرب فعلينا أن نصبح غربيين ، لذا فإن كلأ زعم إيان الغسرب حباول تطويرنآ وتحمديثنا هو جمهل بالتماريخ وتزوير لوقائع العلاقات بين الغبرب والشبرق ، فيقيد كبان دائماً الاحتلال الغربي للشرق هو العقبة التي حالت دون تعديث الشرق ، ويظن بعض المشقفين أن حضارة أية أمة عبارة عن علومها وآدابها وفنونها وصنائعها وبدائعها وأطوارها للحياة المدنية والاجتماعية وأسلوبها للحياة السياسية ، ولكن الحقيقة أن ليست كل هذه الأمور بالحضارة ذاتها وإنما هي نتائج الحضارة ومظاهرها . وإذا صح هذا فلا يجوزأن تحدد وزن حضارة وتحديد قدرها وقيستها على أساس ما لها

من هذه المظاهر ، وإنما علينا ان نتوصل إلى روحها ونتحسس أساس أصولها .

وبعد ؛ فقد كانت بادرة حميدة تلك التي تقدم بها ، المهندس محمد تاج الدين حين طرح بعض ما تقدم في منتدى أندلسية للثقافة والعلوم في الإسكندرية حيث تشرفت برئاسته ... .

وهنا تنتهي الرسالة لتعود تداعياتنا .

وهو ما يدفعنى فى نهاية السياق إلى تأكيد أن روح الحضارة الإسلامية لم تتأثر بأية حضارة أخرى مهما تكن الظواهر التى نتحدث عنها قط ، اللهم إلا فى درجة الاحتكاك والتأثر وهو ما يعاد صياغته عبر الروح الأصلية للحضارة الأم ، وهو ما يحول ، فى الوقت نفسه - فى حضور الاستعمار - دون إتمام دورة الحضارة بشكل خالص .

بيد أن الدلالة التي يجب أن نشيد عليها الآن ، خروجاً من العموميات ، أن الحديث عن الحملة الفرنسية ليس غير حديث عن الحملات التي تأتينا من الغرب ، وآخرها ما نعايشه ونشهده الآن من الهجمة (= الحملة) الأمريكية الوقحة .

樂學等

ولا نحتاج إلى تأمل كبير لنلاحظ نفس الشبه الذى يخيم على كل هذه الحملات ، فالغرب - وبتعبير مرجريت تاتشر - انتهى عقب سقوط الكتلة الشرقية من العدو التاريخي وبقى - ومازال التعبير للمرأة الإنجليزية - العدو الأزلى .

وحين سَئلت إبان حرب الخليج في بداية التسعينيات عن العدو الأزلى لم تكن في حاجة لهز الكتف وهي تردد: الإسلام.

إنه الغرب حين تتغير أساليبه من والقرنسة ، النجلزة ، الأمركة، إلى أهدافه : والاستعمار ، الإمبريالية ، الرأسمالية، إلى سعيها الدائب أي

الهيمنة على الشرق عبر تاريخ طويل مرير.

وهو ما لا نستطيع الخلاص منه كلما تحدثنا عن الحملة الفرنسية -كإحدى حملات الصراع - بين الغرب والشرق ، أوبين الشمال والجنوب ، وهو ما يبدو أكثر حين يصور أن نهاية التاريخ هو انتصار الغرب النهائي.

#### \*\*\*

والواقع أن حضارة أية أمة لا تتمثل في علومها وفنونها وصنائعها ولا حتى ما تأتى به من مبهر وعجيب كما لاحظ الجبرتى ، وبالقياس ، فلا يمكن أن ننظر إلى الحضارة الأمريكية بما هو شائع عنها مثل الجينز والكوكاكولا والهمبرجرومنتجاتها الاستهلاكية التي تمتد لتشمل العالم كله كما ردد البعض في الندوة التي عقدت ببيروت أخيراً عن (العرب والعولمة) .

الحسنارة هي الأثر الذي ينبع من روح الأمة ، والذي يكون نتاج الجغرافيا والتاريخ والعقيدة والاحتكاك .. إلخ ، ومن هنا ، نستطيع ببساطة أن نلاحظ أن ما تسعى به الولايات المتحدة الأمريكية بحملتها على العراق ليس غير هجمة رأسمالية عاتية تستكمل بها هجمات سابقة عرفنا بعضها عقب الحرب العالمية الثانية ، وعرفنا أهمها إبان حرب الخليج وما بعدها حتى اليوم .

إذن نستطيع أن نستبدل بالحضارة هنا اللفظة الشائعة المعبرة (العولة) . ونستطيع أن نستبدل بالإمبريالية التقليدية : الرأسمالية التى انفردت بالعالم بعد انفراط عقد الثنائية القطبية وعصر الحرب الباردة . . وما إلى ذلك .

ونستطيع أن نتحدث عن حضارة الغرب النابعة من روح الغرب وتجاربه وتقنياته عبر التاريخ حتى اليوم ، وهو ما نستطيع أن نتحدث به الآن عن (العولمة) الأمريكية التي تنبع من السيطرة والتوق لها عالمياً في تحول كل القطاعات المعروفة إلى صياغة أمريكية خاصة بها ، فتقوم تحت ضغوط ووسائل شتى - بعولمة قطاعات الاقتصاد والتجارة والمال والاستثمارات والاتصالات . .

ونستطيع أن نشهد هذا بشكل آخر ، حين نقول إن الحملة الأمريكية المعاصرة ، تقوم على العولمة التي هي بالتمام ، كما يرى العم سام الهامينة على العالم كله عبر الشركات المتعددة الجنسيات والحلف الأطلنطى الجديد ، وصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى ، والجات في تجلياتها الجديدة الخطيرة بعد أن تحولت إلى منظمة التجارة العالمية ، ومجلس الأمن الدولى الذي لم يعد له فائدة أو تأثير اللهم في اتجاه (الأم المتحدة الأمريكية) ومن وجهة نظر أصحابها . كما أن الهيمنة تحتد - بشكل صفرع إلى وسائل الاتصالات والإعلام والمعلومات الروسائل المتعارف على تسميتها (بالطرق السريعة للمعلومات) أو (وسائل الإعلام المتعددة الوسائط) . . إلخ .

نستطيع أن نشهد هذا حين نرى آثار هذه العولة وهى تتحول إلى تطبيق فى الإعلام المسيطر والمتمثل فى السينما الأمريكية الماكرة والمسلمات والأفلام التليفزيونية المبهرة التي تحتد إلى مساحات شاسعة على الكرة الأرضية ، ونستطيع أن نرى آثارها بالنسبة إلينا فى التأييد المعلوماتي الخيف لإسرائيل حين يزيد المد المعلوماتي ووسائله إلى إسرائيل (لا فارق بين أمريكا وإسرائيل) فنحن نسمع عن التعاون العلمي الهائل بين الدولتين ، ونحن نعاين التعاون الكبير فى التصدى للشعب الفلسطيني بعد اللعب على أوتار الخروج على الاتفاقات المتفق عليها كمدريد وأوسلو . . إلخ .

ثم نحن نعرف ممارسات تظهر فجأة في أوقات معينة مثل (حقوق

الإنسان) - ويقصد بها حق الإنسان الأمريكي الغربي في السيطرة على الشعوب الأخرى وثرواتها ، و(مؤتمر السكان) ويقصد به (استعماو ثقافي) لعقلية الشعوب الأخرى وفرض الإرادة الأمريكية عليها - كما تكتب وتقرأ في صحف الغرب نفسه ثم لعبة ( الأقليات) التي تخرج علينا من آن لآخر للتنفرقة بين أبناء الوطن الواحد كلما زادت هوة الخلافات بين العالم الأمريكي والحق العربي :

وفى ندوة أقيمت أخيراً بجامعة عين شمس (مركز دراسات الشرق الأوسط) دعا المحاضر وهو متخصص فى القانون الدولى إلى الانسحاب من الأم المتحدة على اعتبار أن هذه المنظمة والهيئات التابعة لها أصبحت لا تستطيع القيام بأى دور إيجابى فى حل الأزمات العالمية كما أنها لا تستطيع أن تقوم بدور ما خاصة بعد تغيير العالم من عالم ثنائى القطبية يهيمن على (الفيتو) فيه خمس دول إلى عالم أصبح يهيمن فيه دولة واحدة لها مصالح واحدة ولها توجهات مغايرة للعالم كله والغريب فى الأمر أن هذا الرأى وجد استجابة واسعية لدى الخاصوين .

茶蒜蒜

لقد تغير العالم إذن . .

أصبحت الحملة التي نتحدث عنها كثيبرا هذه الأيام رمزاً لقبح الغرب الأمريكي وعنفه وضراوته ووحشيته وبغضه وعنجهيته .

خاصة حين يكون لهذه الحملة الغربية الآن ، مدافعون وأنصار . وخاصة أن هؤلاء المدافعين والأنصار من العرب .

لذا . . انتبهوا !! ♦

## هل أجهضت الحملة النهضة .. ؟

السؤال الذي يتردد كثيراً الآن هو :

لماذا نحتفل بالحملة الفرنسية ؟

والسؤال على بداهته يخفي سؤالاً أبعد هو :

هل كانت الحملة من معوقات التطور العربي فيما بعد ؟

عدد كبير من مشقفينا يوافقون ، جاءت الحملة بالحضارة لتؤثر بالإيجاب في التطور العربي في ذلك الوقت .

وجماعة أخرى ترفض ، تنفى ، تدرس ، تؤكد ، تغضب ، وهل كانت بلادنا جثة هامدة قبل أن يأتى الغرب ليبعث فيها الحياة ؟

ويلخص هذا كله سؤال استنكاري آخر ، هو :

ألم تأت الحملة - بالفعل - لتجهض التطور العربى الطالع من القرون السابقة وخاصة القرن الثامن عشر ، وقد كان هذا كفيلاً - لو ترك الشرق لشأنه - أن يمضى في سياق حضارى مغاير للغرب ؟

هذا الاتجاه يجد اهتماماً كبيراً به في الفترة الأخيرة .

وقد مثل هذا الاتجاه عدد كبير من المثقفين والمؤرخين المصريين ( بعيداً عن المدرسة الاستشراقية ) ولعل أبرز هؤلاء هو د . رؤوف عباس المؤرخ المصرى المعروف .

فهل أجهضت الحملة - بالفعل - التطور العربي ؟

杂杂杂

وقد سبق د . رؤوف عدد كبير ممن أكدوا على هذا وحاولوا البرهنة عليه نحد هذا لدى بيتر جران في كتابه الملحوظ عن الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر، ومكسيم رودنسون عن الإسلام والرأسمالية، وعفاف لطفى السيد ولويس عوض في كتبابه عن الفكر المصرى، ومحمود أمين العالم وسمير أمين وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم وليلي عبد اللطيف ومحمد عزباوى..

وأكثرهم يعتمد على كتابات المقريزى وابن تغرى بردى والظاهرى والعمرى وابن دقماق كما يعودون إلى قوائم الخطوطات قبل الحملة الفرنسية في دار الكتب وجامعة الأزهر ومكتبات الاسكندرية وسوريا وإسطنبول وسجلات المخاكم الشرعية . . إلخ .

ولعل د. رؤوف عباس كان آخر من أكد على هذه الفرضية سواء فى الكتاب الذى انكب على ترجمته ونشر منذ فترة وجيزة (تجار القاهرة فى العصر العشمانى) من تأليف د . نللى حنا ، أو فى تبنيه لكتاب بيترجران ومراجعته ، قبل ذلك ، عد ترجمته إلى العربية أيضاً فى عديد من كتاباته المتناثرة أو الرسائل التي أشرف عليها فى هذا الاتجاه . فلنتمهل أكثر عند (تجار القاهرة فى العصر العثمانى) ونحن نحاول أن نجيب عن السؤال المطروح حول فرضية إجهاض الحملة للتطور العربي فى سباق تاريخى مغاير للتطور الغربي

\*\*\*

من البداية يؤكد الكتاب هذه الفرضية ، ومنذ التقديم يعجب د. رؤوف أن يكون المؤثر الخارجي هو الفاعل في تحريك عجلة التغير ، والمؤثر الخارجي هنا هو الحضارة الغربية «وكأن مصر كانت عاجزة تماماً عن الحركة ، قعيدة لمدة ثلاثة قرون ، فلم تنهض إلا بعد ما مد الغرب إليها يده ، وهو يستطرد – حول هذا الفرض الخاطئ فيضيف أن :

دائجت معات يمكن أن تنظور وفق سياق تاريخي مختلف عن النهج الغربي، كاشفة عن فساد الاستنتاجات التي توصل إليها المستشرقون فى دراساتهم حول العصر العشمانى عامة ، وتطور مصر فى ذلك العصر خاصة ، مؤكدة أن الثقافة الوطنية العربية الإسلامية توفرت لديها فى هذا العصر مقومات التطور ، وأن قدوم الغرب لم يكن بعثاً للعياة فى مجتمعاتها ، وإنما كان من معوقات تطورهاء .

وبين صفحات الكتاب تتمهل بنا الكاتبة نيللى حنا عند عديد من الهياكل والمؤسسات التجارية والبحرية والعلمية .. إلخ لتعبر لنا عن هذه الفرضية ، وسوف نضرب لها أمثلة على ذلك:

- كانت مرونة الحركة بين الولايات - ومنها مصر- باعشاً على تأكيد المد الإيجابى للتطور، فكما نجد هذا عند التجار وغيرهم من أصحاب الحرف ، كذلك نجده - خاصة - لدى العلماء ، فقد كانوا كثيرى الانتقال من مركز علمى إلى مركز علمى آخر (انظر تراجم الغزى في القرن السادس عشر) ، والاستقرار بصورة مؤقتة أو دائمة في إحداها للعمل بالتدريس أو القضاء ، وهم في ذلك يحتفظون بأوضاعهم الاجتماعية ، بغض النظر عن المكان الذي يقيمون فيه وهو ما ينتقل بنا إلى عامل التعليم .

وأهم صور التعليم كانت الكتاتيب التي كانت منتشرة بشكل واسع قبل قدوم الحملة إلى مصر، وهو ما يجعل هذه المناطق للتعليم متاحة لأكبر عدد من الأولاد الصغار حيث كانوا يقصدونها لتعليم القراءة والحتابة والحساب.

وفى الجانب التجارى بدا واضحاً أن ظاهرة البيوت التجارية العائلية المستغلة بالتجارة الدولية كانت معروفة تماماً ، ويضرب لنا الكتاب مثالاً بعائلة الكارمية الذين اشتغلوا بالتجارة في القاهرة المملوكية ، كانوا ينتظمون في شبكات تجارية عائلية ، ويتنقلون في شبكات تجارية امتدت إلى آسيا وسواحل البحر الأحمر فأفريقيا مما يشير إلى عظم

التأثير التجارى الذى كان يمكن أن يمثل امتداده الطبيعى تطوراً إيجابياً ، بل إن بعض البيوت التجارية وضرب لنا الكتاب أمثلة - كانت تصدر نسبة كبيرة من البيضائع التي يجلبها من الهند إلى بعض موانى الدولة العشمانية وأوربا عن طريق الإسكندرية ورشيد ودمياط، وكان لكل مؤسسة تجارية وكيل تجارى في طرف من أطراف الأرض، وكانت تتنوع في هذه المحاصيل وتتكاثر ، بل تشير الوثائق أنه كان للتجار الشرقيين جاليات بالبندقيية وفيرارة وانكونا وبيزا ونابلي بما يعنى أن المجال المغرافي كان متسعا .

ومع أن منصب (شاهبندر التجار) لم يكن وراثياً في القرن الثامن عشر ، فإن الإجراءات التي كانت تتبع في ذلك اتفقت مع تلك التي كانت تتبع في ذلك اتفقت مع تلك التي كانت تتبع عند تعين أو انتخابات شيوخ الطوائف الأخرى ، حيث كان الشخص يختار بإجماع أعضاء الطائفة ، وتصدق المحكمة الشرعية على ذلك الاختيار - ونظرا لأهمية الشاهبندرية ، لابد أن يكون للسلطات دور في إقرار الاختيار وهو ما كان يؤكد أن المد التجارى كان يمضى في سبيل مؤسسى ، يحكمه إما الاتفاقات التجارية المبرمة بين الطرف المصرى والطرف الغربي ، أو بين الطرف المصرى تحت إشراف الحكومة المصرية والطرف الآخر أيا كانت جنسيته .

وتلاحظ الباحثة تأثير الوكالات التي كانت قائمة على نطاق واسع ، فقد كانت تقع في مناطق سكنية تتوفر فيها كل وسائل الراحة لإنجاز العمل المراد ، فكانت تقع وحدات السكن ، وغرفة أو غرفتان للسلع وما إلى ذلك لإقامة التجار الذين يأتون من بلاد بعيدة لعقد الصفقات التي يطلق عليها الصفقات التجارية (تجار الترانزيت) .

وتشير الدراسة إلى أن التجار كانوا يتجهون إلى تسجيل معاملاتهم كتابة وتوثيقها بالحاكم وبوجه عام ، فإن النظام التجاري كان يتسم بالضخامة والتوسيع والمرونة إلى حد بعيد ، خاصة ، وقد توفر لهم مؤسسات تجارية وقانونية (قضائية) تؤكد وجودهم وكانوا : «يمارسون نشاطهم في إطار نظام وطني ...

وكان أبرز الملاحظات في ذلك تغيير الأنشطة الاقتصادية ، وهي تغييرات جاءت من داخل النظام لا من خارجه ، فلم تأت نتيجة لتأثير أوربي أو تنفيذاً لأوامر الدولة العثمانية ، وبالإجمال كان النظام حيويا ومرناً إلى حد كبير ، ويلاحظ أن زراعة السكر للتوريد وصلت إلى درجة بعيدة ، ثم امتداد تلك الظاهرة إلى القطن والكتان ، كذلك كانت المنسوجات المصرية تصدر بكميات كبيرة إلى الأناضول وأوربا ، وحتى منتصف القرن الثامن عشر كانت مصر تصدر كميات كبيرة من التيل إلى فرنسا ، حيث كانت توزع هناك في البلاد الأوربية الأخرى» لقد كانت مصر تمضر عضى في مرة العلاقات الوثيقة بين التجار ، وفي مرة براعتهم الاقتصادية في التعامل مع الخارج ، وفي مرة العلاقات التي التي التي التي مرة براعتهم الاقتصادية في التعامل مع الخارج ، وفي مرة العلاقات التي

الصاعد وهو ما كان يعكس في مرة العلاقات الوتيفه بين التجار ، وفي مرة براعتهم الاقتصادية في التعامل مع الخارج ، وفي مرة العلاقات التي تحولت إلى علاقات قوية بين التجار والحكام ثما يشير إلى أن تطورا ما كان على وشك الحدوث في البنية الوأسمالية الخاصة بنا .

لقد كانت مصر تمضى في تطورها الطبيعي بعيداً عن رأسمالية الغرب المتربصة .

**华华华** 

نلاحظ أن هذه الدراسة تتفق مع دراسات أخرى سبقتها كدراسة بيتر جران التي ركزت أكثر على العامل الثقافي - من أن ثمة تغييرات تجارية هامة حدثت قبل فترة التوسع في استيراد النماذج الأوربية التي بدأت بالحملة الفرنسية ، وبذلك ، تصبح هذه الفترة ، خاصة في القرن الثامن عشر ، قاعدة التطورات التي كان يمكن لها أن تتطور أكثر ، كما لا يمكن فهم النهضة في القرن التالي دون فهم هذه التغييرات هنا.

إن هذا يشير - بوضوح شديد - إلى أن عملية التحديث التي وقعت قبل عام ١٨٠٠ اختلفت عن تلك التي حدثت بعد ذلك التاريخ ، وأن ما حدث من انقطاع نراه يتمثل في قيام الدولة الوطنية على النحو الذي كانت عليه في القرن التاسع عشر ، والتطور التكنولوجي وأثره على المجتمع ، وأن ذلك الانقطاع حدد ملامح اتجاهات تجربة التحديث عندنا . وهو ما يمثل - بوضوح - قدر التغيير الذي حدث بمجيء الحملة ، ثم شروع محمد على في تغييراته التالية .

إنها تغييرات ارتبطت بالمد الغربى سواء فى مجىء نابليون إلى مصر أو فى فهم كيفية التطور الذى حدث بعد ذلك فى عصر محمد على ويعود بنا د . رؤوف عباس هنا إلى تساؤل هام - يطرحه الكتاب - هو : ما هى العوامل التى حالت دون حدوث تحول رأسمالى فى العالم العربى خلال ذلك العصر ؟

واستطرادًا لهذا ، يشير إلى :

أن التحولات التي أحدثها محمد على لم تنشأ من فراغ وخاصة انه لم يعتمد على رأس المال الأجنبي في إقامة البنية الأساسية لاقتصاد السوق المناضع لإدارة الدولة ، وإنما اعتمد على موارد مصسر وحدها طوال حكمه ، وحقق التراكم الأول اللازم لإقامة تلك البنية ، من خلال إعادة تنظيم الاقتصاد المصرى وتوجيه بعض قطاعاته وجهات جديدة ،

وهنا يطرح عدة أسئلة تحمل إجاباتها:

فمن أين استطاع الاقتصاد المصرى فى مطلع القرن التاسع عشر أن يوفر كل تلك الموارد إذا كان اقتصاداً تقليدياً راكداً ؟ وكيف استطاع المجتمع المصرى ان يتجاوب مع إصلاحات محمد على إذا كان مجتمعًا يعانى من الاضمحلال والتخلف؟ بل كيف استطاع العالم المصرى أن

## يستوعب الأساليب الفنية الحديثة في مصانع محمد على إذا كان عطلاً من الخبرة ، مفتقراً إلى الاستعداد ؟

إلى آخر هذه الاسئلة التي لا نستطيع الإجابة عنها دون فهم التطور الذي كانت تم به البلاد قبل مجيء الحملة .

لقد كان بوسع مصر أن تصنع نهضة تقوم على الهوية والوعى بالذات في الإطار العام لولا ان جاءت الحملة فسعت إلى إجهاض هذه النهضة فأدخلت إلى الرأسمالية الغربية عنوة بعد ذلك . .

#### \*\*\*

يلاحظ بيتر جران أن أحد الدبلوماسيين فشل في الإفراج عن رسالة من الأقمشة من الجمارك المصرية في مارس ١٧٩٨ وبعد عام أرسلت فرنسا حملتها إلى مصر وهذا يضيف إلى الحافز الاقتصادى حافزاً استعمارياً خالصاً ◆

# النهضة لو لم يأت الغرب ((

يتراجع عدد كبير من أنصار الاحتفال بالحملة الفرنسية - الاستعمارية . . سواء في الجانب المصرى أو الفرنسى، وهذا الموقف وإن بدا غير منظم في الجانب المصرى. فإنه يبدو أكثر وضوحا في الجانب الفرنسى.

يبدو هذا من إعادة صياغة العنوان الذي كان متفقا على إجراء الاحتفال تحته إلى (مصر وفرنسا / آفاق مشتركة) .

ويبدو هذا فى موقف الفرنسيين أنفسهم فمن يستمع إليهم أو يقترب منهم يسرى أنهم يشيرون أن الانفاق المذى تم إنما يقع على الجانب التاريخى / الثقافى ، وأن سوء التوقيت هو المسئول وراء هذا الفهم ، وهو ما يبدو فى تصريحات المتفرنسين أو الفرنسيين المقيمين بالقاهرة أو لدى العاملين الرسميين فى المراكز الثقافية والاجتماعية كمركز البحوث العلمية (سيداج) الذى رفض أخيرا الاشتراك مع الجمعية التاريخية للاشتراك فى موضوع عن الحملة الفرنسية .

كما أن متابعة ما يصدر فى فرنسا وصحفها فى نهاية القرن العشرين يشير إلى هذا ، فالكشير لا يتحدثون عن حملة استعمارية بقدر ما يتحدثون عن دور ثقافى ، وعلى سبيل المثال ، دعى المؤرخ الفرنسى المعروف أندريه ريمون فى فرنسا للمشاركة فى هذا الاحتفال بذكرى الحملة ، فما كان منه إلا أن أعرض بغضب ، وصرح بأنه سيقيم مؤتمراً عن مصر فى القرن التاسع عشر وجذورها فى القرن التاسع عشر وجذورها فى القرن الثامن عشر .

ماذا يعنى ذلك ؟

يعنى أن اتخاذ هذه المواقف يشير إلى رغبة ملحة فى الجانب الغربى لتحسين العلاقات المصرية الفرنسية فى عصر (العولمة) الأمريكية وتأكيد الشقافة الفرنسية فى زمن الفرانكفونية وإخفاء السمة العنصرية فى الوعى الغربى وليس إيجاناً بالضرورة - عن اعتقاد مكين - غير مصرح به الآن – عن دلالة الاحتفال بالحملة أو التراجع عن الجانب الاستعمارى فيها وإعادة النظر إلى التاريخ بعيون فرنسية ولعل آخر مثال على ذلك: الدراسة التى صدرت للدكتورة ليلى عنان (سنعود إليها فيما بعد).

هذه ملاحظة عامة يأتي بعدها أن نحاول استكمال الإجابة عن السؤال الذي طرح من قبل عن مدى تأثير الحملة على تطورنا الفكرى قبل مجيء الحملة إلى مصر .

旅旅船

وهذا السؤال يمكن تلخيصه على النحو التالي :

ألم تأت الحملة الفرنسية لتجهض التطور العربى الطالع من القرن الشامن عشر ، وقد كان هذا كفيلاً لو ترك الشرق وشأنه - أن يمضى في سياق حضاري مغاير للغرب ؟

ماذا كان سيحدث . . لو لم يأت الغرب ؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذا السؤال عبر أكثر من مصدر ، غير أن العودة إلى عديد من المصادر الأخرى ، يضع بين أيدينا كشيراً من الإجابات التى تؤكد وجودنا الحضارى / القومى .

وقبل أن نعاود الإجابة لابد أن نتمهل أكثر عند السبب الشائع الذي جعلنا نرى أن العصر العثماني كان (كله) عصر تخلف وجمود حتى وصول الحملة .

الشائع كان هو ذلك والواقع كان شيئاً آخر .

\*\*\*

كاد يكون شائعاً لدينا جميعاً - شرقيين وغربيين - أننا لم نطلع قط من عصور التخلف العشماني وما ترتب عليه من أن العلوم التي كانت تدرس في الأزهر لم تكن لتخرج عن العلوم الدينية وفي أحسن الحالات بعض علوم اللغة.

أما العلوم العقلية من منطق وكيمياء ورياضيات لم يكن ليأبه بهذا أحد ، فضلاً عن اتخاذنا كثيراً من المصادر الغربية مصادر معرفية وحيدة بيد أن تحميل العصر العثماني كله فيه غبن كبير ، فنحن نستطيع أن نتحدث بمثل هذا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وإلى حد كبير النصف الأول من القرن الثامن عشر .

أما النصف الأخير من القرن الشامن عشر بوجه خاص ، فإننا نستطيع أن نعيد النظر فيه إلى التاريخ الفكرى لنا ، لنوى أن أخصب فترات تاريخنا كانت هذه الفترة - النصف الثانى من القرن الثامن عشر بوجه أخص ، وقبل أن تأتى الحملة الغربية إلينا لقطع سياق التطور العربى . وقد لا تكون هذه القرون الثلاثة قائمة بهذا الشكل غير أن الفهم الشائه حول المعرفة إلى حقيقة ، وانتفت من أذهاننا أن تكون الفترة العثمانية تشى ببارقة من الضوء .

فالقرون العثمانية كانت شديدة القتامة ، وهو ما كان يعود - في المفهوم العام - إلى الحفاظ على العلوم الدينية واللغوية والمحافظة عليها ، غير أنها لم تفتقد عديدًا من ومضات الضوء من آن لآخر .

يؤكد هذا أن عديداً من القضايا كانت تفهم من فريق من العلماء بطريقة ، غير أنها عند البعض الآخر لم تفقد الوجه الإيجابي للقضية . ربما يفسر هذا نقاط اخلاف بين الجانبين المصرى والفرنسي ، وبين المصرى والمصرى كما نرى اليوم .

إذن ، كان النصف الأخير من القرن الثامن عشر عصر تطور حضاري

وتقنى - على عكس ما هو شائع - فى عديد من الجالات ، وهو ما كشفت عنه عديد من الدراسات التاريخية يأتى الجبرتى فى مقدمتها ، ويضى فى خط متصل - على سبيل المثال الدكاترة شفيق غربال وأحمد عزت عبد الكريم وأحمد عبد الرحيم مصطفى وعبد العزيز نوار وغيرهم وآخرهم كان د . عبد الله عزباوى الذى حصلت أطروحته عن الأزهر فى القرن الثامن عشر على درجة الدكتوراة وهو ما نتمهل عنده الآن .

\*\*\*

إن أكثر ما يلاحظ أن الأزهر في نهاية هذا القرن - الثامن عشر - لم يعرف درس العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب ، لأن مثل هذه العلوم تحتاج - كما يلاحظ - إلى آلات باهظة الثمن وغالبية طلبة الأزهر فقراء لا يقدرون على شرائها .

ومن هنا فقد كانت للمتخصصين ، وكان هؤلاء يتقاضون لذلك أجراً خاصاً نظير ذلك مثل هذا الشيخ الذى كان يرفض تدريس الرياضيات أبداً ، اللهم إلا بنظير أجر خاص لتقديره لقيمة هذا العلم ، قائلاً : (أنا لا أبذل العلم رخيصاً)

كذلك يمكن ملاحظة أن العلوم العبقلية كانت توجد في الكتب المؤلفة لتعليم البنات ، كذلك استمرت دروس الطب في المارستان .

وكما كان الجبرتي أحد هؤلاء الذين اهتموا بالعلوم العقلية يذكر في تاريخه أيضاً أنه كانت هناك مدرسة في علم الفلك على رأسها رضوان أفندى الفلكي ( ١٧١٠) وقد أخذ على يديه أغلب المشتغلين بالفلك في مصر في القرن الثامن عشر .

ودارس هذه الفترة يلاحظ تقدماً فائقاً في علم الفلك بوجه خاص حتى تشير المصادر إلى أن الفلكيين المصريين كانوا بارعين في عملهم، وأنهم استخدموا آلات جديدة استطاعوا أن يطوعوها لعلمهم ويضيفوا إليها وقد بلغ تقدم الفلك في مصر في نهاية القرن الشامن عشر إلى درجة أن أحداً لا يستطيع أن يقلل منها .

وتزخر تراجم هذه الفترة ومؤلفاتها بعشرات العلماء في هذا العلم وتفوقهم فيه أيضاً ويذكر الجبرتي عدداً كبيراً من العلماء الذين ألفوا في علوم الرياضيات والكيمياء والطب والمساحة وعلم يبحث في خواص الأعداد يسمى (لارتما طيقي) بل عرف علم الهندسة وشواهده الكثيرة في العمائر الشامخة الراقية فضلاً عن علم الفرائض (المواريث) وهو يحتاج إلى معرفة واسعة بالرياضيات والفرائض ، فإلى جانب التطور الذي حدث في علم التاريخ والإصلاح الديني والموسوعات والعلوم الحكمية (كانت تطلق على الفلسفة والكيمياء والطب والصيدلة وتقوع البلدان أي الجغرافيا) لم تعد مناخا مزدهراً.

وإذا توقفنا عند علم الرياضيات تحديداً - سنعرف أنه وُجد في مصر في نهاية القرن الثامن عشر - عدد كبير من العلماء الذين ألفوا في هذا العلم، فمن الغريب أن نعرف أن الشيخ الجبرتي الذي عرف ببراعت في علم التاريخ والتراجم له مؤلفات هامة فيه اشتهر باهتماماته بعلم الرياضة.

كذلك تدلنا مصادر هذه الفترة على عدد آخر من هؤلاء المهتمين بالرياضيات منهم الشيخ محمد الغمري الذي ألف في الرياضيات.

فضلاً عن مؤلفات أخرى في الفلك أو الكيمياء ، فمن مؤلفاته في الرياضيات ينقل لنا د . عزباوى عن إسماعيل البغدادى بما عرفناه من القواعد الحسابية في تحويلات الأكباس الرومية إلى الأكباس المصرية والقواعد المقنعة في تحويلات المقادير الأربعة .

وتحضى فى نهاية القرن الثامن عشر فى هذا السياق مع عدد كبير من جميع الطبقات الذين عرفوا العلوم العصرية والعقلية فهناك عدد من الطبقات الأرستقراطية عرفوا باهتماماتهم بالرياضة والفلك ورسم عدة مزاول بالجامع الأزهر ، بل عرف في مصر العديد من العلماء المهتمين بهذه العلوم المشجعين عليها من أمثال الشيخ أحمد أبو الإسعاد السادات الذي عرف عنه اهتمامه بالفلك .

الأكثر من ذلك أن التاريخ يقول لنا إنه كلف الفلكي الشهير الشيخ مصطفى الخياط بتحريك كواكب ثابتة حتى عام ١٧٦٦ وأعد له من أجل ذلك حجرة خاصة وتكفل بمصروفات أسرته عدة أشهر .. إلخ .

ويلاحظ هنا بشكل ملفت أنه رغم أن علماء القرن الشامن ضيقوا على أنفسهم في العلوم العقلية ، فإن النظرة العامة ترينا أن هذه العلوم نالت حظاً وافراً في نهاية القرن الثامن عشر ، واهتم بها عدد كبير من المشايخ أيضا حتى إن رفاعة الطهطاوى يعلق فيما بعد عن هذه الفترة مشيراً إلى شيخ الأزهر فيقول:

" فانظر إلى هذا الإمام الذى كان شيخ مشايخ الجامع الأزهر ، وكان له فى العلوم الرياضية وعلم الهيئة الحظ الأوفر ثما تلقاه من أشياخه الأعلام فضلاً عن أن أشياخه كانوا أزهرية ولم يفتهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة فى الوطنية » .

كما جاء في (مناهج الألباب):

وليس من المصادفة في شيءأن يكون الشيخ حسن العطار أكثر علماء عصره تعرفاً على العلوم العقلية ، والحث عليها ،كثير الأخذ من علماء عصره من المجددين ، كثير الرحلات إلى حيث وجودها ، كثير تدريس العلوم العقلية في الأزهر حاثاً تلاميذه على ضرورة الأخذ بالعلوم العقلية ، كثير التقرب من الفرنسيين إبان وجودهم في مصر والدخول إلى معاملهم والتعرف على علومهم الحديثة كما زار المجمع العلمي الفرنسي . .

ليس من المصادفة أن يكون هذا الشيخ هو أستاذ رفاعة الطهطاوي الذي

حثه على الأخذ من العلم والتعرف على ما ينقصنا منه فى سياقنا الحضارى وقد لعب دوراً رائداً هو وتلميذه فى القرن التاسع عشر فى هذا الصدد ، فحين كان تلميذه الطهطاوى على وشك لعب دور تنويرى فى مصر بعد عودته من بعثته من الخارج كان هو شيخا للجامع الأزهر عام ١٨٣١ .

على هذا النحو ، كان العطار أكثر علماء القرن الثامن عشر تفهماً لدور التطور في العلوم العقلية ، وصاحب رؤية واضحة في التغيير يستفيد بها من العلوم العصرية التي يستطيع التطور العربي استيعابها دون حملة عسكرية أو سياسية تقوم بدور سلبي .

يقول د . عزباوى إن هذه النهضة التى عرفتها مصر فى أواخر القرن الثامن عشر قد أصيبت بقطع أو انفصال وقتى عند مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر .

\*\*\*

ما معنى هذا ؟

الإجابة أن نهاية القرن الثامن عشر شهدت تطوراً عالياً .

فقد كان التجديد الفكرى يتمثل في الحركة السلفية في الجزيرة العربية ، كما كان الأزهر وعلماؤه يعيشون فترة ازدهار اقتصادى يعينهم على الاهتمام بمثل هذه العلوم ، فضلاً عن أن التطور الفكرى العام كان يسير في خط صاعد سواء في الأزهر أو خارجه ، في علوم القرآن أو العلوم الفقهية أو التصوف أو علم اللغة ثم في العلوم العقلية ، بل إن دارس هذه الفترة التالية من القرن التاسع عشر لاحظ على سبيل المثال – ان حالة الفلك في مصر في القرن الثامن عشر كانت أفضل منها في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وهو ما كان يكن أن نتطور معه أكثر .

هذا ... لو لم يأت الغرب!!

هنا لابد من التوقف عند قضية بعينها بشكل أكثر اتساعاً ، فإذا كنا في الصفحات السابقة آثرنا الإشارة بشكل رأسى إلى أنواع العلوم العقلية فيما يتمشى مع النهضة الغربية للوصول إلى الأثر السيئ الذى واجهته حال اصطدامها بالحملة الفرنسية ، فيجب أن نتمهل أكثر عند قضية بشكل أفقى لنرى ، إلى أى مدى كان يمكن للتجديد الفكرى والإصلاح الدينى أن يصل إلى أقصاه في هذا الصدد . وسوف تكون هذه القضية هي قضية التصوف .

كانت قضية الصوفية التي بلغت أوج الفساد حين فشى فى حلقات الصوفية ظاهرة الرقص والغناء على الآلات الموسيقية فى حلقات الذكر. ومع أن عددًا من العلماء كان يويد هذه الظواهر، فنحن لم نعدم جماعة أخرى بدت معارضة وواعية لهذا الوجه السلبي للصه فية.

لقد وجدت هذه المسألة في القرن السابق لها أنصاراً كثيرين ، فعده كبير من علماء الدين أيدوا الوجه السلبي للقضية ، بل ذهبوا إلى حد معارضة المعترض على الممارسات السلبية التي تقوم بها هذه الفرق التي تنتمي إلى الصوفية وترتكب أفعالاً لا علاقة لها بالدين الحنيف ، وكانت دعواهم في ذلك - كما جاء في أطروحة دكتوراة في منتصف السبعينيات من تأليف د . عبد الله عزباوى - أن أصحاب الباطن ينظرون إلى حقيقة كل شيء فيسمعون من كل شيء تسبيح الله وتنزيهه . . ولكن أهل الظاهر لا يفقهون ، إلى آخر هذه الحجج التي كانت تؤكد الملامح السلبية لمتصوفي هذه الحقبة .

وهذا الوجه السلبي هو الذي رسم - فيما يبدو - الوجه العام المألوف الذي رأينا فيه العصر العثماني كله .

لقد ظهرت جماعات صوفية كثيرة ترتكب كثيراً مما يتنافى مع

الدين الصحيح ، ويذهب أصحابها فى الدفاع عنها إلى حجج كثيرة يحاولون الخروج بها من القرآن الكريم إلى درجة أن بعض مشايخ هذه الفترة المظلمة وهو الشيخ عبد الرحمن العبدروس المتوفى بالقاهرة فى نهاية القرن الشامن عشر (١٧٧٨م) يكتب رسالة يؤيد فيها جواز الذكر والرقص أثناء الذكر (كان الأزهر قد أكد هذا قبل ذلك) ، فإذا بالشيخ العبدروس يؤكد هذه المظاهر وينسبها إلى التصوف الصحيح بالشيخ العبدروس يؤكد هذه المظاهر وينسبها إلى التصوف الصحيح ويبلورها فى رسالة سماها (تشنيف الأسماع ببعض أسرار السماع) أيد فيها وجهة نظر الصوفية . (تزخر رحلات الرحالة العرب ومؤرخيها بكثير من هذه الروايات) .

هناك أمثلة كثيرة لهذا الوجه السلبي للصوفي، وهو الوجه الذي كاد يصبغ العصر العثماني كله بصبغته ، وأصبحنا لا نذكر هذا العصر الا ونذكر معه هذه الترهات ، ومما أسهم في ذلك أن عديدا من الرحبالة الغربيين وقناصل الدول الغربية كانوا يكتبون ويرسلون إلى الغرب بما يسيء إلى هذه الفترة ، فلا يذكر إلا هذا الوجه السلبي ، نستطيع أن نجد هذا في كثير من المصادر - وخاصة الغربية منها - غير أن الإشارة إلى بيتو جران بوجه خاص يؤكد لنا هذه الحقيقة . . ونستطيع أن نذكر الرحالة المعروف (فولني) على سبيل المثال لنرى كيف تضمنت رحلته عن الشرق الإسلامي وخناصة مصبر الكثيبر من السلبيات التي يتنبه إليها دون ان يتطرق لوجه منير مضيء ، في الوقت نفسه بعضهم كان يكتب عن جهل شديد لما كان في الواقع ، وبعضهم الآخر كان يكتب عن سوء نية ، وبعضهم الثالث كان لدفع حومته إلى الاستيلاء على البلاد ، خاصة أن هذه الفترة عُرفت بشدة الصراع الدولي على مصر، حيث كانت تشغل حيزا كبيراً من التجارة العالمية وعلى هذا النحو، أصبحنا، فإن القرون السابقة للحملة الفرنسية قرون ظلام وفساد وتخلف دون التنبه إلى الوجه

الآخر الذي يزداد إشراقاً كلما اقتربنا من القرن الشامن عشر ، حتى إذا ما وصلنا إلى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، كان التجديد الفكرى، ومعرفة العلوم الرياضية والفكرية قد وصل إلى قمته .

في هذا الوقت جاءت الحملة الفرنسية لتقطع الامتداد الذي كان في سبيله لصنع نهضة أكثر خصوصية من نهضة القرن التالي .

بيـد أننا قبل أن نصل إلى الحملة لابد من أن نشوقف عند الوجمه الآخر / المشرق لهذه الفترة ، وعن نفس القضية . قضية التصوف . . .

特殊的

تؤكد لنا كثير من مصادر هذه الفترة ومراجعها أن الوجه الصوفي الواعي كان موجودا وقائما.

لقد كان يعلو في بيئة الصوفى المتخلف صوت الصوفى الثائر ، ربما كان من أهم هذه الأصوات كان صوت الشيخ المعروف صفى الدين ، كان الشيخ محمد صفى الدين الحنفى الذي كان دائب مهاجمة المتصوفة الذين اتخذوا الرقص واللعب ديناً وخلطوها بالعبادة ، وراح يؤلف فى هذا رسالة سماها (الصاعقة المحرقة) ذكر فيها كثيرا من الممارسات السلبية من مثل أن يتوجه عدد كبير من هؤلاء إلى الحلقة وبدورون مركبين أيديهم إلى وراء وأمام وهز رءوسهم (كما ذكر د ، عزباوى عن جمال الدين الشيال) .

ولما يلفت النظر أن كثيرين من مشايخ هذه الفترة اعتنقوا هذا الفهم، وراحوا يهاجمون الممارسات البغيضة للصوفية وأشكالها الكشيرة، ومما يلفت النظر في هؤلاء - كما لاحظ د . عبد الله عزباوى أنهم كانوا متأثرين بالدعوة السلفية التي سادت في هذه الفترة أكثر، فمع أنهم وصلوا إلى درجة تحريم الدخان في بعض الأحيان فإنهم في الوقت نفسه لم يترددوا في مهاجمة هذه العوائد السيئة

لمتصوفى عصرهم ، وللدكتور توفيق الطويل - رحمه الله - دراسة ضخمة عن هذه الحقبة يشير فيها إلى الوجه السلبى الذى تعدد كثيراً فى هذه الفترة ، ومع هذا ، فإن الوجه الإيجابى للبحث عن الصوفى الثورى لم نعدمه فى تلك الفترة .

\*\*\*

إن (الصاعقة الحرقة) يجب أن تلحق كما كان يرى الكثير من مشايخ نهاية القرن الثامن عشر بهؤلاء الذين يتخذون سمات خرافة لا تنتمي للدين ، وتكرس للجمود والتخلف ، وفي هذا نستطيع أن نذكر بعد صفى الدين ، الشيخ على الصعيدي الذي ألف رسالة أخرى سماها : (في حكم الرقص والغناء في الذكر) كانت عبارة عن فتوي ضد هذا الجانب السلبي وراح يسهب فيها كثيراً لتأكيد موقفه متنقلاً من كيار المشايخ المعتدلين الواعين في عصره ، وفي هذه الفتوى ذكر طويل لهجوم حاد على هذه البدع وراح يعددها الواحدة بعد الأخرى واصفا أصحابها بهذه العبارة (وأنت .. غلبكم الجهل واستولى الهشيطان على قلوبكم وزين لكم ما أنتم عليه من القبايح التي لا يقول بها إمام من الأثمة) ، وهنا يقول د . عزباوي إنه يمكن اعتبار فتوى الشيخ على الصعيدي هذه نموذجاً لتلك الرسائل والفتاوي التي ألفها بعض فقهاء القرن الثامن عشر لنقد الطرق الصوفية المغالية ، والنهى عما ترتكبه من البدع ، بما يلاحظ معه أن التربة المصرية في نهاية القرن الشامن عشر حينشذ كانت قد أصبحت أكثر ملائمة لانتشار دعوات الإصلاح الروحي والاجتماعي .

وهذه الصاعقة التى قام بها العلماء ضد الشعوذات الصوفية (وعجائب الجبرتي زاخرة بهذه المقاومة) ، نجدها - أيضاً - لدى عدد من الصوفيين أنفسهم ، ومن أشهرهم كان السيد مصطفى البكرى (المتوفى ١٧٤٨) وقد تصدى لهذا في مؤلف سماه (السيوف الحداد

في أعناق أهل الزندقية والإلحاد) راح ينتقد فيها بعنف هذا الوجه السلبي لهؤلاء الذين يدّعون التصوف «مع أن غالبهم لا يدرى الفرق بين الخوف والتخوف».

\*\*\*

بيد أن هذه الصاعقة المحرقة أكدت تنامى تيار التجديد الفكرى في مجالات أخرى كثيرة ، جاوزت التصوف إلى كثير من العلوم العقلية من علم الفلك إلى الصيدلة إلى الرياضيات إلى المنطق إلى الفلك في النصف الأخير من القرن الثامن عشو . .

(\*) على سبيل المثال:

في الجسر والمقابلية : ( الياسمينية أرجوزة "تأليف ، عبد الله بن الحجاج المعروف بابن الياسمين ٥٦١٥ / ١٢٠٤ م)

وفى الهندسة: ( أشكال التأسيس ، تأليف ، محمد بن أشرف السمرقندى حوالي ١٩٠٨هـ / ١٩٠٣م.

وفي الفلك "الهيئة": (رسالة السبط في العمل بالربع الجيب "الرسالة الفتحية في الأعمال الجمعية" المؤلف محمد بن محمد المعروف بسبط المارديني تـ ٩٩٠ هـ / ١٤٩٠ م .)

وفي الطب : (كامل الصناعة ، تأليف على بن العباس المجوسي تـ ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م)

وانظر على سبيل المثال ، عبد الله عزباوى ، الحركة الفكرية في مصر في القرن ١٨ بحث لنيل الدكتوراة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧٦ رسالة غير منشورة .

# الغرب .. وهم التُّنوير ١١

لفت نظرى ، بشكل شخصى ، أن عدداً ليس بالقليل من القراء كانوا - رغم الكشف عن الجوانب الدامسية للغرب إبان الحملة الفرنسية - يلوموننى بدرجة تصل إلى العنف لرفضى الجانب التنويرى الذى تركته الحملة (هكذا) ، وأنه لولا الغرب لظللنا - يؤكدون فى عصبية متكررة - فى قبو العصور المظلمة .

إنها الأسطورة التي صنعها الغرب وراح يصدقها .. فرحنا نصدقها .. وأدهش أن يعيش الغرب خاصة الفرنسي منه لحقب بعيدة في وهج الأسطورة ، لكن أدهش أكشر لمن يريد عندنا أن يتوحد مع الوهم ويتآلف معه (وهي حالة تعرفها الخبرة النفسية) .

ورغم أن وضعاً أقرب إلى هذا عرفناه منذ فترة مبكرة من هذا القون مع الحلم الأمريكي وأسطورته التي حاول نسجها .. فإننا رغم تتابع وجوه الغرب الأمريكي البشع وامتداداته الفرانكفونية السياسية في العالم - فإننا مازلنا نتحدث عن التنوير مرة .. والغرب المتقدم مرة .. والحضارة الفرنسية المعاصرة مرة ومرة .

إنه وهم التنوير واختراع الأسطورة .

茶茶茶

وقد كان أكثر من عبر عن هذا الجانب فى الفترة الأخيرة د . ليلى عنان فى كتابها (\*) او مما نشر من كتابها الهام عن الحملة الفرنسية . . إنها عرضت لوهم التنوير الذى نتحدث عنه لا نزال - ولاختراع

<sup>( \* )</sup> الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٨ ، ج ١

الأسطورة التى ننسجها - لا نزال - فى وقت بدأ فيه المؤرخون الجدد فى فرنسا كرفرنسوا فوريه ودينى ريشيه وروجيه دو فريس . . إلخ) ينزعونه من أفكارهم وينقلبون عليه .

ومن هنا ، فإن ما سعت إليه هنا د . ليلي عنان يؤكد حقيقة الغرب لنا ، خاصة ، أن مصادرها في أغلبها فرنسية خالصة .

ثم لا ننسى أنها - كما تخبرنا - تلميذة المدارس الفرنسية ، ومن ثم ، فإنها تحاول - فيما نشر - أن تؤكد خلق الأسطورة الكاذبة عبر هذه المصادر سواء في التاريخ أو الأدب ، ثم تسعى - فيما لم ينشر - كما و عدتنا على غلاف كتابها .

(ترى متى ينشر ؟ وهل سينشر حقاً ؟)

(حدثتنى الدكتورة ليلى كثيرا أنها تخشى أن يصدر الكتاب بعد عدة أشهر، أو لا يصدر على الإطلاق إشارة إلى الضجة التي يواجهها إثارة الاحتفال بالحملة من جهة حكوميين رسميين ووزير يشاع أنه يستخدم ويسترضى ويعرض له لوحات كثيرة في معرض باللوفر لإرضائه).

لنتمهل عند بعض الصور من وهم التاريخ في القرن الثامن عشر قبل أن نصل إلى توابعه اليوم.

杂给

منذ البداية ، نعيد طرح السؤال القديم: هل صحيح ما يقولونه الفرنسيون من أن تلك الحملة الاستعمارية حولت مصر من حال إلى حال ؟ وأن مشروعها حضارياً ، ساهمت فيه القوات التي آمنت بجبادئ ١٧٨٩ ؟ . . . . . الح

وأكثر ما يواجهنا من حيرة في الإجابات عبر هذا الكتاب أن صاحبته انتقلت من تأكيد الأسطورة بشكل نظري إلى مقتضيات البرهنة عليها بشكل عملى فراحت تعرض لأحداث القرن الثامن عشر، وتؤكد أن مبادئ الثورة الفرنسية لم تكن هى - كما هو شائع - المبادئ التي حاول نابليون تأكيدها عبر رحلته.

كما يختلط الموقف الغربي في التعامل مع الشرق بين التعالى والكراهية والعنصرية ، بالقدر الذي يختلط فيه الدين بالفن بالتجارة .

إن مفردات الثورة الفرنسية لم تكن هى التى دفعت بالحملة للخروج من فرنسا إلى إيطاليا ثم إلى مصر ، فالوجه المنير للمبادئ الفرنسية كان له وجه آخر فى التعامل مع الشرق ، ففى الوقت الذى كان هذا الفكر يدعو للتسامح ، تمثلت إحدى نتائجه السلبية فى أنه أدى إلى ظهور لون جديد من الصلف الغربى .

وبعد أن كان الدين ، أى المذهب الكاثوليكي للمسيحية ، يرى حتى عهد قريب منهم ، أن من حقه بل من واجبه ، قتل الآخرين وحرقهم ، مثلما كان يفعل مع البروتستانت واليهود والمسلمين ، أصبح العقل وتحيده سبب زهو الشخصية الفرنسية الجديدة ، وسبب إذرائها لكل من يختلف في الرأى معها .

كما كان الفلاسفة يتهمون أعداءهم بالتسلط والتطرف، ثم يحاربونهم بكل الأسلحة المتاحة، وهم ينشدون روح السماحة وحرية الرأي .

ورغم أن فرنسا فى القرن الشامن عشر كانت تدين بأفكار التنوير وتعرف مونتسكيو وفولتير ثم روسو وديدرو وفلاسفة الثورات الأخرى: الإنجليزية والفرنسية .. فإن الفرنسيين كانوا يتكلمون وكأن فرنسا – منذ جمهورية روما الفاضلة المثالية – هى الوحيدة صاحبة الفضل على العالم ، مثل روما التى شكلت أوربا لقرون حتى العصر الحديث ، ويلاحظ الفرنسيون أن ذلك الشعور العام ، بأنهم يقومون بعمل فريد عالمي الصدى ، لخير الإنسانية جمعاء ، صاحب الثورة منذ بدايتها ، في أول أشهرها

١٧٨٩ ، وهكذا أفرزت الثورة بنفسها ، منذ البداية ، أسطورتها .

وأسطورة الثورة تتخذ أشكالاً أخرى كثيرة منها قضية (حقوق الإنسان) .

أليست هى قضية قديمة جديدة تستخدم فى عصر نابليون ، كما تستخدم فى عصر بوش ، تستخدم فى عصر الإمبريالية الفرنسية كما تستخدم فى عصر العولمة وعصر الاستهلاك والسيولة .. كما سنرى ؟ إنها نفس الحقوق التي تستخدم الآن للحصول على أى مكاسب

إنها نفس الحقوق التي تستخدم الان للحصول على أي مكاسب رأسمالية .

(ما أشبه الليلة بالبارحة حقاً).

وكان أسلوب الثورة في تعاملها مع الأحداث هو النذير الذي سنرى خلاله كيف تعاملت فرنسا فيما بعد مع مصر أثناء الحملة .

فيدكر التاريخ أنه إبان اشتداد أزمة بين الحكومة وإحدى المدن الفرنسية (فانديه) ، صوت المجلس الحاكم لقرار كانت نتيجته قتل حوالى مائة وخمسين ألفاً من السكان ، ناهيك عما كان موجوداً ، حتى انتهت المنطقة اقتصادياً لعقود عديدة ، بل وصل الإرهاب بحكومة الثورة ، كما تؤكد المصادر الفرنسية – إلى إعدام أربعين ألفاً في باريس وحدها ، منهم ثلاثة وعشرون ألفاً أعدموا دون محاكمة ، وثمة مثل آخر يؤكد هذا ، ففي حين كانت جزر الهند الغربية الفرنسية ، وأهمها تاهيتى تُعامل على أنها جزء من فرنسا ، ورغم إعلان حقوق الإنسان ، وأول بنوده وهو مبدأ الحرية ، لم يطبق على عبيد مزارع القصب هناك ، فكانت النتيجة ثورة الأهالى ومذابح لا حصر لها .

وهو ما يذكّرنا الآن كيف تُستخدم (حقوق الإنسان) كذريعة لخداع الشعوب ؟

وما حدث في هذين المثلين حدث لكثير من المناطق الأوربية نفسها

حين استولت عليها فرنسا كبلجيكا وهولندا وسويسرا وإيطاليا والنمسا ثم مصر .

إن السياسة الفرنسية في أى بلد كانت تحل به كانت تهتم بتطبيق عملية (عصر الليمونة) ، وحين كانت تحد ثواراً في البلد الذي تذهب إليه كانت تهتم أساساً «باستعمال الثوار وليس خدمتهم» .

يحدث هذا كله حين كانت الثورة الفرنسية قد أعلنت عن (حقوق الإنسان) وحرمان الإنسان ، في الوقت نفسه ، من حقوقه ، أو حتى اختياره لمعتقداته . تقول د . ليلي عنان : إننا إذا رجعنا إلى مبادئ الشورة و«حقوق الإنسان والمواطن» ، هالنا التناقض الصارخ بين المبدأ وتطبيقه ، ولكنه الواقع ، التاريخ ، والنذير لما حدث في مصر بالفعل فيما بعد قبل أن تذهب الحملة إلى مصر ، يتقدم الوزير «تاليران» بمشروع غزو مصر لحكومة الإدارة ، فيقول :

## وكانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية ، فيجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية ،

كان كل سياسى فرنسى الآن يذكر جيداً أن فرنسا هى روما الجديدة وبدون إسهاب فيما كان مفكرو عصر التنوير فى فرنسا محل الاستعمار الدينى ، ومن هنا ، يجب أن نتنبه إلى ما قاله نابليون لجنوده وهو متجه إلى مصر ، يقول : «أيها الجند ، أنتم فى طريقكم إلى فتح سيكون له أعظم النتائج على الحضارة» يتوقف البعض عند كلمة حضارة بينما يندهش البعض أكثر لوجود كلمة حضارة فى هذا السياق. وهنا نلاحظ أن أسطورة الثورة تتخذ شكلا آخر : الحضارة .

禁禁等

كانت حكومة الإدارة الفرنسية في القرن الثامن عشر الذي سينتهى باحتلال مصر تستخدم كل الألفاظ - بما فيها الحضارة - لتهيمن على العالم، خاصة، وأن ممثلها فيما بعد - نابليون - كان مولعاً بهذا المسلك .

ف مصر ، رغم أنها تنتمى فى ذلك الوقت إلى الإمسراطورية العثمانية .. فإنها كانت تنتمى أكثر إلى حضارة تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ ، ومن هنا ، فإن استخدام الحضارة كان لا يتعارض مع المشروع الاستعمارى الذى جاءت به الحملة ، فالأهرامات كما يلاحظ كانت المدارس الخفية لتعليم غيبيات تساعد الكهنة على التوصل إلى أسرار الطبيعة وما وراءها . بيد أن هذه الرؤية شجعت بالقطع على اتخاذ قرار غزو مصر ، أو هكذا يقال ، إذ كانت الرغبة جامحة ، بن مثقفى حكومة الإدارة إلى اكتشاف هذا البلد الغامض ، مع ضرب المصالح الإنجليزية ، وتكوين مستعمرات جديدة .

وكانت فكرة العودة إلى أرض العلوم والفنون مستحسة ، وكأن فرنسا بعلمها الجديد وحكمتها العالمية ، تغلق هكذا طرق دائرة المعارف بالرجوع إلى المنبع ، فيحدث الالتحام الذي يضم تاريخ العلوم فتسيطر عليه .

كانت الحضارة لفظة تسرى فى حديث من يتحدث عن مصر التى كانت جزءاً من هذا العالم المصرى القديم فضلاً عن تصور الشرق (سمى القرن ١٨ بقرن شهر زاد) (\*)، غير أن الحلم الفرنسى بتأكيد سيطرته (الرومانية) على العالم وأهم أقطاره المتحضرة (مصر) كان أكثر ما دفع فرنسا إلى هذه الحملة، وحين عاد نابليون بعد عام أو أكثر من حملته من مصر إلى فرنسا، قال أحد المؤرخين المعاصرين أنه ترك مصر لأنه لم يحقق فيها حلمه الشرقى حيث الحضارة التى كانت فى مخيلة حكومة الإدارة وقائدها المغوار.

<sup>(\*)</sup> انظر: د. مصطفى عبد الغنى ، شهر زاد فى الفكر العربى الحديث ، دار شرقيات ، ج ٩ سنة ١٩٥٥

الحضارة هى التى لم تخرج عن الهيمنة على كل شىء بما فيها الحضارة نفسها ، ويذكرنا الكتاب انه بعد عودته من مصر قال البعض : وإن نابليون يسير ضد تيار الحضارة الأوربية ، وقال بونابرت نفسه عند عودته إلى فرنسا من مصر : وإنه كان سعيداً في ذلك البلد البعيد ، حيث استطاع أن يتحرر هناك من كل قيود الحضارة الأوربية ع إنه يريد أن يذهب إلى بلاد الحضارة وفى الوقت نفسه لا يريد هذه الحضارة التى تقيده كما يدعى إليه فى الغرب .

تُورد د . ليلى عنان قول أحد الضبساط الذى رأى الفظائع التى ارتكيها الفرنسي متسائلاً:

وأهذه هي الحضارة التي أتينا بها إلى روسيا! ماذا تكون نتيجة هذه البربرية عندما يشاهدنا العدو ونحن نمارسها؟ ع

ثم تضيف بعد ذلك عبارة دالة ، تقول :

وكلام ثماثل سبق أن قيل في مصره

إنه نسيج واحد تتداخل فيه الحضارة بالبربرية بالأسطورة .

وهنا تصل تحربة الثورة إلى شكل جديد يتمثل في العنصرية .

杂杂类

لقد تم خلق الأسطورة في القرن التامن عشر ، وأصبحت الحضارة والتنوير والتقدم من القيم التي تُردد ، فيراد لها أن تُصدق أو تُقال حين تصبح القضية قضية اختراق ظلام البربرية التي التقي معها نابليون القائد القادم من باريس (الرومانية) والتي تريد أن تغرس سيف السلام الفرنسي في إمبراطوريتها الجديدة .

إن في الحملة عناصر شتى أهمها ميراث فلسفة التنوير .

فى المعرفة حيث تمتزج الرؤية التي تخص فلاسفة التنوير ، بصلف المتحضر الذي يرى نفسه على قمة الإنسانية ، فيرى أن من حقه ، بل

من واجبه ، إذن ، السيطرة على البشرية كلها ، فالبشرية لم تصل مثله إلى هذه الدرجة من النضج والحكمة .

لقد جاءت تجربة الثورة لتجعل معاصريها يظنون أن في استطاعتهم فرض قوانينهم على الجميع ، على غرار ما فعلته روما قديمًا .

وجاءت - نتيجة هذا التقمص المسيطر على أذهانهم - المغالاة في التعبير والتعظيم المفرط الذي جعلهم يرون رجالاتهم على أنهم «آلهة» إنها عنصرية الغرب .

وعنصرية الغرب تحتاج إلى موضع آخر . . ◆

## الفرب..نعم الفرب عنصري ال

لاحظنا - من قبل - أن العنصرية هى عنصر أصيل فى الجانب الفرنسى - وقد تمثلت بوجه خاص فى القرن الثامن عشر فى الحملة الفرنسية على الشرق التى اتسم موقفها من السكان الأصليين بهذه العنصرية الفاضحة التى اتخذت شكل (المهمة الحضارية) التى يجب أن يضطلع بها الرجل الغربى على أهل البلاد الأقل تحضراً (وهو ما عرفناه عند الإنجليز وبعبء الرجل الأبيض، وعند الأمريكيين فى نهاية القرن «بالعولمة» وإن تغيرت الملامح العامة حسب التوجه الجديد).

وكان أكشر ما يلفت النظر في هذه العنصرية ارتباطها الوثيق بالاستعمار (سواء جاء في الحقبة الأوربية وعُرف بالرأسمالي أو جاء في الحقبة الأمريكية وعرف بالإمبريالي) مما سيفرزه الغرب في تطوره المعادى لنا ، وقد ذكر لنا التاريخ أن المفكر النازى الفريد روزنبرج قال أثناء محاكمته في نورمبرج ، بوضوح شديد : إن العنصرية ليست غير جزء أصيل من الحضارة الغربية الحديثة ، ولم يكتف بهذا ، بل راح يضيف ، وهو يشخص إلى قصاته : إن هناك علاقة عضوية بين العنصرية والاستعمار .

هذه شهادة شاهد من أهلها تكررت كثيراً.

وهى شهادة نعشر عليها فى كشير من مصادر القرن الشامن عشر والتاسع عشر لدى أدباء فرنسا ومؤرخيها منذ الحملة الفرنسية حتى اليوم (وهو ما نجد أحسن تمشيل له فى كتاب د . ليلى عنان ، الجزء الوحيد الذى صدر عن الحملة الفرنسية إلى ما بعد منتصف عام 199۸) كما تقدمه لنا - فى وضوح صحف الحملة نفسها التى نُشرت خاصة فى مصر وفى مقدمتها «كوريه دى ليجيبت»، كما ترصده لنا هذه المادة الغزيرة من الدوريات والنشرات والكتب التى صدرت منذ هذا الوقت حتى اليوم فى جميع أنحاء الغرب العنصرى . .

ولكن : ما هي العنصرية ؟

تقدم لنا المعاجم ودوائر المعارف تعريفات كثيرة للعنصرية وخاصة دائرة المعارف الفرنسية ثم دائرة المعارف البريطانية التى فزعت حين طالعت مادة العنصرية فى كل منهما ، أيضاً مخطوطة موسوعة د . عبد الوهاب المسيرى التى لم تنشر بعد وغير ذلك . وعبوراً فوق مصادر عديدة فإن التعريفات تتعدد وتتحدد عند الانتماء العرقى ، وبأن العناصر العرقية تتفاوت نوعياً لا من حيث الشكل وحسب وإنما من حيث القدرة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية ، ومن هنا ، هناك عناصر بشرية متفوقة وأخرى وضيعة ، وهو ما يصل بنا إلى أن هناك تحيزاً بشرية حسب الانتماء العنصرى .

وهذه العنصرية لها مراتب كشيرة ، فهى تبدو فى حين بالنسبة للأقليات المتميزة ، وتبدو فى حين آخر للتفرقة بين العبد والسيد تبعا للجذور التى تحدد - فى كثير من العلاقات ، وما يهمنا منها هذه العلاقة القائمة بين الاستعمار وبين أهل الشعوب سواء أكانت مستعمرة عسكريا أو مُخترقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً .

وترى بعض المصادر (انظر دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية) أنه يمكن القول بأن عهد العلاقات بيت الأجناس بدأ مع التوسع الذى حققته القوى الأوربية الكبرى فيما وراء البحار ابتداء من القرن الخامس عشر فصاعداً لكن هذا الاحتكاك الأول بين الأجناس لم يتم في إطار التفوق التكنولوجي الأوربي ، وبعد ضرب أمثلة كشيرة

لهذا يتضح لنا أن الإحساس بهذه العنصرية بدأ أكثر ظهوراً في منتصف القرن الثامن عشر في الغرب ، حيث حققت الدول الأوربية قدراً كبيراً من التقدم التكنولوجي خاصة واندفعت بجيوشها إلى أرجاء العالم وكسبت معظم المعارك العسكرية ، وهنا بدأ الأوربيون يدركون سر تفوقهم (المادى) وبينما كانت أحاسيس التفوق في الماضى تستند إلى الادعاءات الدينية والفكرية التي يطلقها الإنسان على نفسه (وهي ادعاءات فكرية ذاتية واهية) ، بدأت أوربا بعد الثورة الصناعية ترى أن تفوقها يستند إلى حقائق مادية مثل الآلات والمدافع .

وفى الوقت الذى كانت فيه الحملة الفرنسية على مصر تصل إلى الإسكندرية في صيف ١٧٩٨ كان الإحساس بالتفوق العلمي يستند إلى ادعاءات دينية وفكرية أطلقها الغرب على نفسه.

وهنا ، نستطيع أن نتوقف عند هذه المرحلة ، الممارسة العنصرية الغربية ضدنا أثناء سنوات الحملة الفرنسية في نهاية القرن الشامن عشر ، وتتحدد في ادعاءات حضارية ودينية كثيرة نعشر عليها في الممارسة الفعلية للغرب الفرنسي إزاء الشرق .

\*\*\*

إن مراجعة تاريخ النورة الفرنسية نفسها ، لا يجنعنا من التوقف عند هذه الملاحظة الفعلية ، بأن العنصرية تظهر - منذ البداية - بين أبناء الشعوب الأوربية نفسها ، قبل أن تفرق هذه الشعوب بين رقيها الحضارى وعبشها الجنسى وإن بدا أن العنصرية تأخذ شكل ادعاءات مادية

إن الثورة في طريقها لتحرير الشعوب الأوربية لم تهتم كثيراً بأن تتعامل بشعارات الثورة مع الشعوب التي تحررها ، وقد لاحظ العديد من أبناء هذه الشموب ذلك وتحدث عنه ، وفي كتاب د . ليلي عنان الأخير تلاحظ أنه لم يكد يمضى عام على قيام الثورة حتى تغير شعارها قاماً ، فقد أصبح شعارها بعد عام ١٧٩٤ «الحرية والمساواة ، فقط . بعد إسقاط كلمة «الإخاء ، كما نرى ذلك جلياً على أوراقها الرسمية ! وكان لحكام الثورة في هذا الشأن منطق قوى لا يجادل ، يقول : أيصح أن تحرر فرنسا هذه الشعوب على نفقتها الخاصة ؟

لم يصدق أحد أن المقاطعات (الدول) التي كانت تحتاحها جيوش الثورة قد تحولت إلى (أخوات) كما يردد ، فإن هذا الشعار (الإخاء) انتفى تماماً من التعامل مع ثوار بلجيكا أو معاقبة ألمانيا .. إلخ .

والواقع أن ذلك لم يكن مرجعه الحاجة للمال فقط ، وإنما هو الإحساس بقيمة الحضارة الفرنسية ، ولنقل إنه استخدام أية ادعاءات مادية من أجل تأكيد الحس العنصرى الذاتي الضيق لدى الفرنسيين .

والذى يراجع المصادر العربية أو الفرنسية يلاحظ أن فرض عقوبات مادية ثقيلة أو الإقامة بالنهب المادى المنظم للشعب المصرى لا يحمل وراءه الحاجة المادية وحسب ، فقد كانت الجيوش الفرنسية فى مصر تحتاج – بالفعل – للمؤونة ، وإنما كانت طريقة فرضها ، وطريقة تحصيلها تتسم بعنف ناشئ عن عنصرية بغيضة لا تعود إلى ضرورة التحصيل وحده ، بقدر فرض سيطرة الرجل الغربي الآتي من الشمال على أبناء الشعب الأقل حضارة منه ، وكشيراً ما لاحظنا أن إساءة الفرنسيين لعلماء الدين أو النساء لا تخلو من هذه العنصرية التي كانت تظهر في كثير من الأحيان . إنها المهمة الحضارية التي جاءت الحملة من أجلها .

\*\*\*

وكما اتخذت العنصرية ادعاءات مادية ، كذلك اتخذت ادعاءات

دينية وأيديولوجية . وهى إدعاءات وإن امتزجت بزعم التنوير وتأكيد الأسطورة كما لاحظنا - فإنها لم تخل من الكشف عن هذه العنصرية بوضوح شديد .

ومراجعة اللوحات التي كانت تُرسم لنابليون في مصر أو بعد رحيله بسنوات ، كانت لا تخلو من هذه العنصرية التي تمتزج بالبطولة الفردية وتأكيدها ، فمن يعرف تفاصيل اللوحات التي نجدها على جدران المعابد وداخل قبور الفراعنة وتسجيل انتصاراتهم يلحظ شبها كثيراً بينها وبين اللوحات التي أصر نابليون أن ترسم له إبان وجوده في الشرق (رسمت فيما بعد في أوربا) .

كثيراً ما نجد الفرعون المصرى – أياً كان اسمه ، وهو يقف وسط اللوحة أو فى الجانب الأبرز منها بينما الآخرون وفى الغالب يكونون من الأسرى يتوسلون إليه أن يعفو عنهم ، بينما لا يغادر يده سلاحه وهو يتعامل مع أعدائه بقسوة ، وهو ما نجده فى كثير من اللوحات التى يقف فيها نابليون على قدميه أو على حصانة ، بينما عدد من الأسرى ، لا يمنع أن يكون بينهم بعض علماء الدين ينظرون إليه فى خوف أو خشوع.

وفى الكورييه - صحيفة نابليون فى مصر - كثيراً ما نقراً (قرار من القائد العام) تشير إلى مثل هذه المشاهد ، وهى تمنح أو تمنع بعنف مما يوحى بنبرة العنصرية العالية ، وعلى سبيل المثال ففى صفحة هذه الجريدة وتحت رقم ٣ (السنة السادسة للجمهورية) يقرأ كثيراً من أوامر نابليون برفع العلم الفرنسي مثلث الألوان على الأبنية وعلى صدور العلماء بقوله أنه حين أحس القائد العام - نابليون - بارتياب أهل القاهرة فى تنفيذ هذا القرار فإنه - ولاحظ اللهجة ، وخاصة أن نابليون كان يشرف على كل كبيرة وصغيرة فى الصحيفة - (جمع حوله

أعضاء الديوان وبعض الرجال من ذوى النفوذ لدى جماهير الشعب . وبعد أن استمع إلى اعتراضاتهم فندها بمهارة بل واستمالهم إلى دعوته إذ وصل به المقام إلى الخوض معهم فى مناقشات دينية بهرت عقول الأتراك وأقنعتها) ثم يضيف (وبعد محاضرتين طويلتين ارتدى أعضاء الديوان بأنفسهم الشال المثلث الألوان فى حضرته وأكدوا له أن جميع سكان مصر سوف يرتدونه عما قريب) .

فى حين أن الجبرتى وهو معروف بميله إلى الفرنسيين أكد فى أحداث نفس اليوم أول ربيع الأول أن نابليون حين حاول أن يضع هذا الشال على كتف الشيخ الشرقاوى «رمى به فى الأرض، واستعفى وتغير مزاجه، وامتقع لونه، واحتد طبعه .. « أكثر من عالم استاء من هذا الشال أو العلم إلى درجة أن الشيخ السادات قام - فى حضرة القائد العام - بنزعه وإلقائه أرضاً.

ونستطيع أن نصل إلى العدد ( ١١) من السنة السابعة للجمهورية من نفس الصحيفة لنقرأ بالحرف الواحد عن نابليون ( نحن نعطى للعالم أول مثل للفاتح المشرع، وعندما حضرنا كان الفاتحون يتبنون قوانين المهزومين، فلننتصر عليهم بعقولنا - لاحظ أنه يتحدث عن العقل الفرنسى - وهو نصر أصعب منالاً من نصر السلاح فلنتمثل بنابليون ولنكن متفوقين على الشعوب الأخرى كما هو متفوق على جنكية خان ).

إن هذا يشير أولاً إلى تفوق العقل الفرنسى ، ثم هو يشير إلى تفوقه الذى يتقرب به من الفرعون مرة ، ومن أى حاكم متميز حضارياً فى المنطقة ، وليس مصادفة أن نجده يذكر كثيراً فى ذكريات بسنت هيلانة اسم الإسكندر أكثر من مرة فى معرض التفوق الحضارى عن غيره ، وهو هنا يصل فى التفوق إلى مداه ، حتى ولو كان التفوق يصل إلى التساوى

بحاكم طاغية مثل جنكيز خان ، إذ أن التفوق هنا يشير إلى أنه يزيد عليه في القوة والتحضر أيضاً بيد أن التفوق العنصرى يجاوز التفوق الحضارى إلى الادعاءات العنصرية الحينية.

杂杂杂

إن نابليون كان يرى في الدين وسيلة لا غاية .

لم يكن يعطى للدين أهمية أية أهمية إلا بالقدر الذي يحقق له طموحه العنصري .

فى ذكريات سنت هيلانة فقرة ، يقول فيها حين يتذكر وجوده فى مصر ، وقد تحدث البعض عن أحد القادة الصليبيين فى الشرق : (إن لويس التاسع عشر أنفق ثمانية أشهر فى الصلاة ، وكان أجدى أن ينفقها فى الزحف والقتال واحتلال البلاد) .

وعلى ما في ذلك من زهو صليبي - بغض النظر عن تدين بونابرت - فقد كان يخفى زهواً عنصرياً لا يمكن إغفاله .

لقد كان يستخدم الدين - بغير تردد - لتأكيد أسطورته التي لم تكن لتخلو من عنصرية بأية حال .

وتصل العنصرية إلى أقصاها حين يختلط استغلال الدين باختراع الأسطورة فحتى بعد رحيل بونابرت ، يجيء العديد من الكتساب المؤرخين ليتحدثوا عن الحرب النابليونية في الشرق ، فيرى أحدهم (عام ١٩٣٧) أنها تكاد تكون حرباً صليبية جديدة ، إذ أنه يقول عن أحد انتصارات الجيش الفرنسي في الشام «ستة آلاف فرنسي هزموا سبعة وعشرين ألف تركى ! وفي هذا المكان نفسه ، في الخامس من يوليو سنة ١٩٨٧ ، هزم المسلمون جي دي لوزينان ! يا له من ثائر » ، وفي أحد ثورات المصريين على الفرنسيين يذكر نفس الكاتب أن

نابليون كان في عكا ، لماذا ؟ يسأل ويجيب بلهجة عنصرية عالية «يثأر لهزيمة الصليبين في القرن الثاني عشر».

إن لوحة تسمى (مرض الطاعون في يافا) للفنان جروتشي على سبيل المثال بهذا المعنى ، وتلاحظ د . ليلي عنان أن من يرى بونابرت واقفاً وسط اللوحة (وهو دائماً وسط كل اللوحات) . والضوء مسلط عليه ، وهو يلمس بيده يد أحد مرضى الطاعون الملقى على الأرض ، لا يسعه إلا ان يتذكر السيد المسيح (عليه السلام) عندما لمس يد الأبرص فخلصه من مرضه ، والفارق الوحيد - كما تؤكد - أن مرضى الطاعون من الجنود الفرنسيين لم يشفوا من مرضهم ، كما نعرف أنه بعد ذلك بعدة سنوات حين أعيد رفات نابليون إلى باريس عام ، ١٨٤ بدا وهو يغرج منتصراً من القبر ، وكأنه بالفعل السيد المسيح كما تصوره كثير من اللوحات الدينية على مر القرون .

والذى يتمهل عند ذكريات (سنت هيلانة) يجده يغلو في حلمه العنصرى الذى لم يتحقق. نقرأ في أحد العبارات وهو يوضح رؤيته للعالم ، أوربا تغزو أفريقيا من الجنوب، والجنس الآرى سيغمرها في المستقبل كما غمر أمريكا . . الجنس الآرى سيغمر الكرة الأرضية ويحكمها ، ونعم . . الحضارة ستكفر عن جرائم الغزو أو دنس الهدف». وهنا تسأل د . ليلى عنان ، ألا يذكرنا هذا الجنس الأوربي ومشروعه بالفلسفة النائلة » ؟

وهو سؤال على بداهته يؤكد عمق العلاقة بين العنصرية والنازية .

الملاحظة التى تلفت النظر فى هذا كله أن مائتى عام على معجىء الحملة وذهابها ، لم تخل من هذه العنصرية عملة فى كتاب نابليون أو مؤرخيه ، منهم أسماء مازلنا نتعامل معها كعلامات مضيئة ، فنحن لا نعدم هذه العنصرية العنيفة عند شاتوبريان بالقدر الذى نجدها عند

هيجو وبلزاك وستندال ولامرتين ، كما نجدها عند المؤرخين من أمثال -والاستشهاد أيضاً من كتاب د . ليلى عنان - مييز وليجران وباستر وميشان وبورجوا وسبيلنان وترانييه ركار مينياني . . وغيرهم .

وهو ما يشير إلى أن العنصرية لم تكن رهناً بمجىء نابليون وخلفائه إلى مصر نهاية القرن الثامن عشر وإنما قبل ذلك وبعده أيضاً .

وهذه حقيقة أصبحت في حكم البدهيات الآن بحيث لا نحتاج لمن يؤكدها

بقى بدهية أخرى لا تحتاج لتأكيد ، إنه إذا كانت العنصرية القديمة تعبر عن هذه الإمبريائية الاستعمارية ، فإن العنصرية الجديدة تعبر عن النظام العالمي الجديد الذي يتخفى وراء العولمة وتأخذ آلياته شكل السيولة الشاملة وفي الوقت نفسه الاختراق الثقافي وعنف المعرفي الجديد .

ان الإمبريالية الغربية قديماً والعولمة الآن هما وجهان لعملة واحدة هي العنصوية ◆

#### المنصة .. والكلمات المتقاطعة .. ((

اقترب الشاب من المنصة ، في خجل ، كاد يتعشر ، حين بدأ الحديث عن حضارة الفرنسيين المزيفة والأثر السلبي الذي تركته الحملة ؛ ذاب خجله ، وراح ينتفض غاضباً رافضاً .

كان أكثر ما لفت نظرى أنه راح ينظر - من آن لآخر - إلى المنصة شزراً . في وقت ارتفعت فيه موجة من التصفيق الحاد ، أدركت أن المدرج الذى يحتوى على أكثر من ألفى طالب وطالبة من كليات الجامعة - أدركت أنهم يشاطرونه الرأى ، وأن بعض (الأساتذة) الذين جاءوا من مصر لم يوفقوا في هذا الوقت ، ولم يختاروا له المكان .

شكرنى الطالب على السماح له بالتعبير .. عاد إلى المدرج ، حين عدت من كفر الشيخ ، كانت في انتظاري نفس المفاجأة .

لفت نظرى غسضب د . ليلى عنان وهى تتسحدث عن الزمسيلة (الأستاذة) التى تصر على وجود هذا الأثر الفرنسى ، أكدت لها أضافت د . ليلى - أن الحملة ، استعمارية ، فى المقام الأول ، عادت تلح أن لها آثارًا إيجابية ، ولابد . . إلخ .

تخيلت الحركات الغضبي للدكتورة عنان وهي تنظر للأستاذة شزراً. رحت أحدث نفسي عن البدهيات ، وقضايانا المكررة التي نثيرها من آن لآخر (هي هي) وعن الكلمات المتقاطعة التي لا تحتاج لجهد كبير.

\*\*\*

أسرعت أقول لنفسى أن تلك ليست حالات فردية ، إنها حالات عدد كبير من (الأساتذة) الذين جاءوا من مصر إلى كفر الشيخ ، أو

عدد كبير من الذين يفتون بغير علم - في الغالب - في مجالس القاهرة ومنتدياتها العلمية فلا يكفون عن الحديث عن التأثير الإيجابي للحملة وبإصرار شديد وهي حالة يُعرف صاحبها عند علماء النفس بصاحب الرأى الواحد في حين لم يقرأ أي منهم سطراً واحداً من تاريخ الحملة ، أدركت أكثر وأكثر أنها حالة من تزييف الوعي التي تتم بين ظهرانينا ، ولكن :

لماذا هي (تزييف الوعي) ؟

لنقل - جدلاً - إنها حالة تغييب الوعي أو غيابه .

وهذه الحالة لم أجدها في كفر الشيخ أو القاهرة أو الإسكندرية أو أي إقليم من أقاليمنا المصرية فقط ، وإنما هي - إذا جاوزنا الجغرافيا - موجودة في التاريخ أيضاً .

ليست الجغرافيا فقط ، وإنما التاريخ .

واخترت أن أتوقف عند التاريخ وعند مثال دال أرى فيه كيف تتم حالة تغييب الوعى لأجيال كاملة ولقرن من الزمان .

يبدو أننا لابد أن نعود إلى المنصة .

经验特

فى بحث أحد أساتذة ندوة: (تطور التفكير العربى) التى أقيمت بكفر الشيخ حول (صناعة الأيديولوجيا ..) توقف فيها عند الحملة الفرنسية ، عبر الكتاب المدرسى ، قدم د . كمال مغيث ، مسحاً للكتاب الذى يدرس فى المرحلة المتوسطة – الثانوية – منذ عام ١٩٠٩ حتى هذا العام ١٩٠٩ راح يرصد فيه كيف قدم الأساتذة ، أساتذة التاريخ فى الغالب ، الحملة الفرنسية للطلاب المصريين منذ بداية القرن العشرين حتى نهايته .

في عام ١٩٠٩ قدمت وزارة التعليم كتاب (خلاصة تاريخ مصر

الحديث) أشارت فيه إلى دخول الجيش الفرنسى إلى مصر، وسعى نابليون في مصر إلى إقامة الديوان ليكون هدفه فض الخصومات.

وبعد إشارة عابرة للشام أشار إلى دخول شخص حلبى على كليبر فقتله (هكذا دون ذكر اسم سليمان الحلبى أو ذكر الدور البطولى الذى لعبه لاغتيال كليبر الذى كان أكثر قسوة من سواه على المصريين وأكثر دموية ضد الشعب الأعزل ...).

لم نجد إشارة أو تمهيداً للحملة في هذه الفترة الخصبة التي تتحدث عنها الوثائق في مصر ، وإنما تقليل من دور الشعب المصرى إزاء الحملة الحضارية التي جاءت لترسم لنا أشكال ديموقراطية لم نكن لنعرفها لولا مبادرة بونابرته - هكذا أسموه - .

باختصار كان الحديث عن الحملة أكثر من تصدى الشعب لها.

ورغم أن الجبيرتي كمان قمد رحل منذ قرابة قرن من الزمان (عمام

١٩٠٦ ) فإن شبحه مازال قائماً وراء محمد أفندى دياب المؤلف .

فالفرنسيون - رغم أنه ذكر بعض مساوئهم ، لم تخل أفعالهم لديه من تأثير حضارى ملموس، استمر في عديد من الظواهر ، وفي مقدمتها هذا الديوان . وهو ما يذكرنا أيضاً بالجبرتي - سامحه الله - الذي وصف الحلبي بأنه (من شذاذ الآفاق) .

إنه الأثر الفرنسى المجيد الذى يتحدث عنه كتاب يقدم لطلاب المرحلة التوجيهية (الشانوية) حيث كان التأثير الفرنسى في الحياة العامة مازال مستمراً رغم أن البلاد كانت تشهد الاحتلال الإنجليزى.

وإذا كنا لا نعرف الكثير عن هذا المؤلف فإن الكتاب الذى قرر بدلاً منه عام ١٩٩٦ كان لمؤرخ معروف هو سليم حسن الذى راح ، فى كتابه الجديد ، يضرب على وتر التأثير الظاهر ... إنه يذكر ثورة فرنسا لينتقل بسرعة إلى الحملة الفرنسية فيتوقف عند مآثرها : المجلس

تتغير العنوانات لكل كتاب حسب المرحلة التي تمر بها البلاد ويظل المضمون واحداً ، تتغير العبارات أو بعض الأحداث ويظل المضمون هو . في عام ١٩٣٣ - على سبيل المثال - نجد كلاما عن مصر الحديثة ، ومصر في هذه الفترة كانت تتهيأ أكثر للاندماج في الرأسمالية الغربية رغم بزوغ الفكر الإسلامي في كتابات كتابها ، في عام ١٩٥٤ يزيد

في عام ١٩٥٩ نلاحظ تركيزاً على الوجود العربي في المنطقة حتى يصبح عنوان الكتاب هو (تاريخ العرب الحديث) . .

الحديث عن تاريخ مصر المعاصر مع بقاء المضمون.

ندرك أن أحداث الخمسينيات تدفع بالبلاد إلى الوحدة العربية أو تسعى إليها ورغم حدوث الانفصال بين مصر وسوريا ، وصعوبة الخاض القومي ، فإن الدرس - العنوان لا يتغير في السنوات ٢٦ ، ٦٩ ، ٧٤ خاصة والحديث عن فعل نابليون يحضى في اتجاه الإفادة من مقومات العروبة ، وتأكيدها وهو ما يلقى في طاحونة تأثير الحملة في اتجاه الفكرة العربية التي لم تكن واردة في وقتها .

ومراجعة هذه الكتب المدرسية التي توجد نسخاً منها في المتحف التعليمي ، نلاحظ ، أن ثمة تأثيراً مؤكداً موجوداً لكل هذه الكتب على مدى قون على وجه التقريب لم أقتنع كثيراً بكلام الباحث ، وهو كلام

مرسل فوق المنصة . مدون ببعض الكروت البحثية ، حين سألته عن هذا التأثير ، كتب إلى يقول :

«إن هناك تأثيراً فرنسياً للحملة على مصر . . مع الاختلاف في الموقف من هذا التأثير . . غير أن صناعة الأيديولوجية تغير الأحداث ولا توقف الأثر ، فمن الممكن - كما يؤكد - أن تصنع أيديولوجية بدون الوعى الكامل بها أو يتصور أنها الموقف الصحيح . . فمثلاً في ظل ثورة يوليو تهتم الثورة بأثر الثورة الفرنسية فيما يتعلق بالقضاء على الإقطاع وإعلان الجمهورية فقط دون الإشارة إلى الدستور والتنوير والجمعية الوطنية وحقوق الإنسان مما جاء به نابليون » .

الأثر ظاهر إذن - كما يقول - وإن تغير صنع الأيديولوجية حسب كل عصر .

اكتشفت أن الخلاف بيني وبين الأستاذ جد كبير . حملت أوراقي وغادرت الدلتا إلى القاهرة .

格格片

فى القاهرة حمل إلى البريد رسالة باحث قضى حياته عاملاً فى دور الوثائق قبل أن ينتقل إلى الجامعة ليعمل كأستاذ ، راجعت الرسالة أكثر من مرة ، آثرت ان أنقل أهم فقراتها .

جاء في رسالة د. زين العابدين شمس الدين نجم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات الإنسانية ، بعد الإشارة لحملة بونابرت الأول ، وأنا أنقل هنا من رسالته بالحرف الواحد:

(وفى أوائل عهد إسماعيل عملت فرنسا على إنشاء مستعمرة فرنسية فى منطقة قناة السويس ، وكان الإمبراطور. تابليون الثالث متحمساً لهذا المشروع حيث أواد إنشاء مدينة فرنسية عند مصب القناة على ساحل البحر المتوسط وبذأت فرنسا خطوات جادة لإنشاء

علده المستعمدة داخل الحيدود المصرية على أن تكون غيب خاصعة لسلطة الحكومة المصرية أو قوانينها المحلية ويكون أكثر السكان فيها من الأجانب القيمين في مصر، فقد اقتطعت فرنسا مساحة كبيرة من الأراضي تفوق بكثبيم المساحة المقسارة لشبركة قناة السبويس مما أثار الشكوك حول النوايا الاستعمارية لفرنسا برغم الإيضاحات التي قلمها بمثلو فرنسا في محاولة لتبديد هذه الشكوك ، وعندما أحس الخديوي إسماعيل بخطورة الموقف واجه الأمر بحزم ورفض احتفاظ الشركة بمساحة تزيد على ٥ ، ٢٤ فدان قابلة للزيادة فيما بعد كنواة لهذه المستعمرة التي كانت تلقى تأييداً كبيراً من الحكومة ، تعامل مصر كأنهبا دولة مهزومة في حرب وتتصرف في الأداضي المصرية وفقاً غططاتها . وأسرع شريف باشا ناظر الخارجية بالكتابة إلى وكيل الشركة ينتقد تصرف الشركة في الأراضي التي لا تملكها. بمقتضى حكم الإمبراطور الفرنسي وإزاء رفض مصر الانصياع لهذه المحاولة فقيد أقير الأمبراطور في النهاية بأحقية مصر في النصرف في أواضيها ، وهكذا فشلت هذه المحاولة لإقامة مستعمرة فرنسية في مصر كما سبق أن فشلت الحملة الفرنسية في السيطرة على مصرى.

لا تنتهى رسالة أستاذ التاريخ . وإنما تفيض بما يذكرنا بقسوة الحملة الأولى على أهالينا في نهاية القرن الثامن عشر من انتهاك الحرمات والبيوت والأعراض وسلب الأملاك والممتلكات وتدنيس المقدسات رغم ما كان نابليون يردده في بياناته الخادعة إلى الشعب .

ويغرينا هذا كله بالمقارنة بين نابليون الأول وحفيده ، فنابليون الأول في الطريق إلى مصر قال - كما جاء في مذكراته : و سأذهب لأستعمر مصره .

وهاهو الحفيم يسعى للمرة الثانية في أقل من نصف قرن لإقامة

مستعمرة فرنسية بسفور شديد، وبإدراك لا ينقصه التحايل أو الخداع . الأول : أراد أن تكون مصر كلها مستعمرة .

والآخر : أراد أن تكون قناة السويس مستعمرة.

ويغرينا هذا كله بالمقارنة بين الفرنسيين فيما مضى والفرانكفونيين والأمريكيين الآن .

安安治

يغرينا هذا كله لنتذكر الحملة الأمريكية التي تواصل وقاحتها وتعاونها مع الصهاينة ضد أهالينا في كل البقاع العربية (لم يختف الدور الفرنسي أغلب هذه الفترات منذ حملة ١٨٩٧ مروراً باحتلال الجزائر وتونس مروراً بسوريا وسايكس بيكو وصولاً إلى نكبة ٤٨ وعدوان ٥٦ .. إلخ) ، وضرب الحائط بمائة وخمسين قراراً لصالح العرب من مجلس الأمن ، والعودة ببغداد إلى العصر الحجري ، وتكريس التطبيع مع الصهاينة منذ نادى بيريز بالسوق الشرق أوسطية ، ونتنياهو بالأمن لا السلام ، وكلينتون بحماية الأقلية وحقوق الانسان .. إلخ .

هل يحتاج هذا كله لكلمات متقاطعة .. ؟

岩岩岩

قــِـل أن أنهى هذه السطور تذكــرت الدرامــا التى كــانت تعــرض (يومياً) فى الشهر الفضيل من عام ١٧٩٨ ضد الفرنسيين و(الأبطال) فى مصر فى مواجهتهم . .

كانت دراما التليفزيون تعرض بعد قرنين كاملين من الزمان على مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر .

كانت الحملة قد جاءت في نهاية القرن الثامن عشر.

وها نحن في نهاية القرن العشرين.

ترى ماذا حدث في هذين القرنين من أحداث جسام حتى نرى الحملة في ضوئها ، تذكرت أنني كنت أردد المقاطع الأولى بشكل لا شعورى له

دلالة .. كان المقطع يقول :

فمصر لم تخضع

ونحن لن نخدع

كنت أعيد المقطع فأقول:

فنحن لن نُطبَع

كنت أبدأه دائماً - بشكل لا شعورى دون أن أحس - حتى - بإعادة نطق الكلمة بشكل مغاير هكذا :

فنحن لم نُطبَع

وكنت حين أكتشف ذلك أردد بيني وبين نفسى : لن نُطبَع مع من ؟ كانت قضية التطبيع مع الصهاينة تردد وتفرض نفسها منذ سنوات، ربما منذ عقدت اتفاقية كامب ديفيد في السبعينيات .

إذن ، هل التطبيع هنا يقصد به عدم التفاهم مع الصهاينة .

كنت أدرك وإن لم أصرح لنفسى بشكل واضح أننى / أننا لن أطبع مع العدو الصهيوني الغربي .

وهل هناك ... كنت أعود إلى الأسئلة صامتاً دائماً .

وهل هناك علاقة بين صهاينة القرن العشرين والغرب كله ؟

بل السؤال الذي يجب أن يقال بدون تفكير:

أو ليست هناك علاقة بين الغرب والصهيونية ؟

إنه الغرب . .

سواء وجد في شكل الصهيونية التي يحكمها ملوك اليهود أمثال نتنياهو وباراك وغيرهما الآن ، أو الصهيونية التي تتلبس ثوب الغرب ويحكمها أي حاكم غربي في البيت الأبيض هناك أو البيت الأسود في

أية عاصمة أوربية .. ، لا فارق .

ثم قد ينصرف ذهنى ، وهو ينصرف بالفعل ، إلى تطبيع من نوع آخر ، التطبيع مع الداخل ، مع هؤلاء الذين يريدون منا أن نطبع مع الغرب ونلعب معهم لعبة المنهزم دائماً . . ومن هنا ، ينتفى البحث أو التفتيش عن القصد من التطبيع .

نعم ، نحن لن نطبَع خارج المنصة أو فوقها .

لن نطبع مع الخارج .

كما لن نطبع مع الداخل.

فما زال الخطر نتاج الداخل أكثر منه نتاج الخارج .

ونتاج الغرب البعيد (- الشمال) كما هو نتاج الغرب القريب (= الصهيونية) في فلسطن العربية .

العدو واحد معروف في الداخل أو الخارج ﴿

# من الذي أثر ومن الذي تأثر؟

منذ بدء حديثنا عن أثر الحملة - السلبى - توالت علينا ردود أفعال كثيرة ، تشير - في أغلبها - إلى الدور السلبى الذى يلعبه الغرب معنا ، أو علينا . ومن ذلك تلك الرسائل التي تشير إلى الكتابات الكثيرة التي تركها الرحالة من شتى الأجناس الفرنسيين منهم أو الألمان أو حتى - الإنجليز . .

ویلاحظ أن سیل هذه الردود زادت عقب ما نشرناه من قبل بعنسوان.. (لو لم یأت الغرب) كرد فعل لهذا التیار الرافض لأی حركة أو تطور كانت تشهده البلاد قبل أن یأتی الغازی الفرنسی إلى بلادنا.

وهذا ليس مبالغة - فيما نرى - بقدر ما هو تقرير لتاريخنا الوطنى فمازال هناك تيار - رغم ضآلته - يرى أننا لم نعرف عنصر التنوير قط ، المهم إلا على يد بونابرت ، ناسيًا أو متناسيًا ، أن بونابرت لم يكن ليريد إلا أن يكون الإسكندر الجديد بفتوحاته للعالم (وذكرياته في منفاه تزخر بذكر هذا الاسم مقترناً بفتوحاته) وأن بونابرت لم يكن إلا ابن الثورة الفرنسية التي كان هدفها التغلب على إنجلترا العدو اللدود لها لتلعب بدور روما في العالم القديم ، حتى إذا ما فشلت في غزوها ، راحت تفكر جدياً في غزو مصر ليتسنى لها الحصول على أكبر قطعة من كعك المستعمرات .

إن الارتباط كان أكيداً بين المصالح الاقتصادية والتفكير والخطط الاستراتيجية ، بل كان ينظر إلى مسألة التجسس على الخصم ليس بمنظور أخلاقي وإنما غثل سعياً للمصلحة وإيثاراً لها.

وعلى هذا النحو ، لم تكن فرنسا بمنجاة منها ، بل إن فرنسا كانت أسبق وأقسده من إنجلترا في هذا المضمار التي كانت أكشر تطلعاً للاستيلاء على مصر منذ الحروب الصليبية وكانت الأسبق في الحصول على الامتيازات الأجنبية من الدولة العشمانية ، وفي التاريخ الحديث كان هذا المخطوط من تأليف ليبنيز الذي قدمه إلى لويس الرابع عشر في نهاية التبشير وإرساليات التعليم وعمليات الاستشراق المستمرة .

وعودة إلى مراجع هذه الفترة ترينا أنه فى الوقت الذى كان يدور فيه الصراع بين الدول الكبرى على مصر ، لم تكن مصر خاملة ، أو تفتقر إلى الازدهار التجارى أو - حتى الحضارى - يؤكد هذا عدد كبير من المؤرخين الجدد فى فرنسا ، وكتب مذكرات الحملة من الضباط والجنود من الفرنسيين ، وأيضاً عدد كبير من الرحالة العرب والأجانب إلى غير ذلك مما يستطيع المرء معه أن يرى صورة نابضة بالحياة فى مصر قبل أن

بل إن كتابات هؤلاء الرحالة الغربيين منهم والشرقيين ترينا أن مصر كانت مزدهرة ، وقد انفردت القرون السابقة - خاصة القرن الشامن عشر - بمرور عدد كبير من الرحالة إلى مصر كان منهم الجواسيس كالبارون دى توت وفولنى وأوليفيه والرحالة غير الفرنسيين الذين جاءوا إلى مصر بهدف فهم ما يحدث فى العالم القديم فى هذه الفترة المؤدهرة من التاريخ فى هذا العالم .

وقد لاحظت أن عدداً كبيراً من ردود الأفعال والرسائل التي جاءت كانت تتركز على هؤلاء الرحالة ، وخاصة ، أولئك الذين كتبوا بشكل محامد تماماً . ولأن الكتابات تفرقت بين الرحالة الغربيين والرحالة الشرقيين ، فسوف نتوقف عند رسالتين لنرى ، إلى أى مدى ، كانت مصر مجتمعاً متطوراً قبل مجيء الحملة .

وسوف تتركز الرسالة الأولى عند رحالة غربي والأخرى عند رحالة عربي .

#### 华奈奇

الرسالة الأولى: كتبها إلينا قارئ عاشق للتاريخ الحديث ودارس له - كما جاء في رسالته - يقول بكر زيدان وهو يحيلنا إلى كارستن نيبور الرحالة الألماني الشهير وهو رحالة يختلف عن الرحالة الجواسيس الذين جاءوا مصر في نفس الفترة أو قبلها ، وكان هدفهم الأساسي التجسس وحث بلادهم (فرنسا تحديداً) على الاستيلاء على مصر للحصول على ثرواتها الاقتصادية في موقعها الجغرافي الهام .

وقبل أن نتوقف عند رحلة نيبور يجب ملاحظة أن اختيار هذا الرحالة الألماني جاء لنزاهته وبعده عن الأغراض الاستعمارية على العكس من الرحالة الفرنسيين ، فأكثر من مرجع لدينا يشير إلى أن قادة الحملة الفرنسية ذكروا أنه لولا تأكيد سافارى وجرانجيه وفولنى وغيرهم من رحالة الحقبة التي سبقت الحملة الفرنسية لما تمكن من معرفة مصر قبل غزوها ، لقد كتب الرحالة الألماني بنزاهة ، وهو ما تسجله هذه الرسالة التي أخلى بينها وبين القارئ الكريم الآن ، جاء فيها :

وإن هذا الرحال الألماني - نيبوو - الذي قدم إلى مصر عام 1 1 1 1 1 أي قبل الحملة الفرنسية بما يزيد على ربع قرن من الزمان لم يجد مجتمعاً نائماً بل وجد مجتمعاً منعماً بالحياة والحيوية. . (و) . . فيقول نيبور عن الزراعة في مصر إن الآلات التي تستخدم في ري الأرض بصد انحسار الفيضان هي أجدر الآلات المصرية باللاحظة والإعجاب ،

وللمصريين وسائل مختلفة لرى الأرض ، وأن الحدائق المصرية تمتلئ بكثير من القنوات تمكن الزارع من ربها جزءاً بعد جزء ، وقد نظمت القنوات بمن مزروعات الحدائل تنظيماً فنهاً جميلاً بحيث يبدو تخطيط الحديقة على هيئة مسالك متشابكة يتنزه بين جنباتها الناس. كما جاء عن صناعة النوشادر : وربما كان من الممكن صناعة النوشادر في أوربا بالطريقة الجيدة الرخيصة المعروفة في مصر ، كما يبدى نيبور انبهاره بمصانع التفريخ بوصفها اختراعاً مصرياً .

وعن الاستيراد والتصدير جاء أن الجلد الخام يعتبر من أهم البضائع التى تعددها مصر ، وتقدر كمية المصدر منه سنوياً بـ ٧٠ أو ٨٠ ألف قطعة ، تصل إلى مرسيليا منها ٥٠ ، و ٩٠ قطعة من جلود الجاموس الجيدة ، تستورد إيطاليا كمية أكبر بكثير ، أما الزعفران (الذي تقدر قيمته الآن كالذهب تقريباً) ويتراوح مقدار ما يجنونه عادة من هذه الزهرة (الزعفران) يزن ٥ أو ١٩ ألف قنطار يذهب أغلبه أو أفضله إلى مرسيليا وليفورنيو ، وتجارة التيل في مصر تجارة عظيمة جداً ، ويجرى تصديره من مصر إلى بلاد البربر وموسيليا وليفورنيو وتركيا وسوريا بجدة بل واليمن ومنه أنواع مختلفة ويصدر أكثر القطن الذي وسوريا بجدة بل واليمن ومنه أنواع مختلفة ويصدر أكثر القطن الذي

وحين يصـل إلى تجـارة التــرانزيت يـؤكــد أنه تأتـى كل عـام فى شــهـور إبريل ويونيو عـدة قـوافل من أفـريقــا محـملة بشلافة أنواع من الصــمغ وبسن الفـيل والتمـر هندى والببـغاوات وريش النعام وتراب اللـهب ، وتعود القوافل محملة بالخرز والمرجان والكهرمان والسيوف .

ومختلف الثياب التى يعدها المصريون مناسبة للدوق هؤلاء الأفارقة . أما عن ثياب النمساء فرانه لابد للإنسسان من أن يعشرف بأن ثيساب الشرقيات أفخر بكثير من ثياب الأوربيات ، وأن بعض أشكال غطاء الرأس عندهن أجمل ثما تلبسه الأوربيات.

ويظل نيبور فى رحلته راصداً لعديد من المظاهر الاقتصادية والثقافية فى مصر فى هذه الفترة فينتقل من أعيان القاهرة إلى وسائل الترفيه ورقسيها بالمقارنة بما كسان فى الفسرب فى ذلك الوقت إلى الآلات الموسيقية ، والأكثر من هذا كله أن يذكر المسرح فى هذا الوقت فى القاهرة فيشيد بهذه الفرقة التمثيلية التى كانت تتكون من مسلمين ومسيحيين ويهود ، كسما لم يفت الرحالة الفربى أن يفسيض فى الحديث عن الآثار وعن الأهرام؛

فإذا استعدنا هذا الانبهار الذى تحدث به الرحالة الغربى عما فى مصر قبل ربع قرن من مجىء الحملة الفرنسية ، وما كانت تشهده البلاد من تطور حضارى كان قمينا به أن يتطور إلى النضج لو لم يأت الغرب ، لتمهلنا عن السؤال الذى يفرض نفسه هنا :

من الذي أثر ومن الذي يتأثر ؟

وهو سؤال نرجئ إجابته إلى الرحالة العرب الذين جابوا المنطقة العربية في القرون السابقة لحملة نابليون.

条条条

لقد كان عديد من الرحالة الفرنسيين بمشابة موجات بحسس متلاحقة مسدت للحملة ، ومن ثم ، فإنهم بدلاً من أن يسهبوا في التاريخ الاقتصادي أو التجاري - أو حتى الشقافي المزدهر - (كما رأينا من قبل عند نيللي حنا وعبد الرحيم عبد الرحمن وبيتر جران خاصة مقدمته النظرية .. وغيرهم) يتحدثون كثيراً عن التخلف والجهل والجمود والاستبداد الشرقي وما إلى ذلك مما نجده في كتب الغرب عن الشرق في هذا الوقت ، وهو أمر لم يتوقف منذ الحروب الصليبية على الرحالة فقط ، ولكنه تحدد أكثر - في فترات تالية - عند هذا الطراز الذي كان

هدفه الرحلة - في الظاهر - التجسس ورصد الواقع العربي في الباطن ، وهو ما تقترب معه وجهة الرسالة الأخرى .

إن رسالة استاذ التاريخ الحديث والمعاصر بآداب القاهرة تبتعد عن العيون الغربية وتقترب - أكثر - من الرحالة العرب .

كتب د . محمد عفيفي رسالة إضافية جاء فيها :

دلقد درجنا من قبل على الركون إلى أقوال الرحالة الغربيين . . فلماذا لا نرى مصر من خلال عيون شرقية أقرب إلينا . ونرى هل استمرت مصر في لعب دورها التاريخي في وسط عالم الناطقين بالعربية حتى في العصر العشمائي الذي وصف بالجهل والعزلة والتخلف . إننا في الخقيقة نجد واستمرارية و تاريخية عند الرحالة الشرقيين عن هذا الدور قبل وأثناء العصر العثماني .

يقول ابن بطوطة الرحالة الشهير عن مصر القاهرة: ووصلت إلى مصر . هي أم البلاد وقرارة فرعون ذو الأوتاد . . شبابها يجد على طول العهد . قهرت قاهرتها الأم . وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد .

وفي القرن السابع عشـر – العصر العثماني – يصف الرحالة أبو عبد الله القيسى مصر قائلاً :

ويا لها من قاهرة ما أحسنها وأبدعها ، أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة . . فنسى كل غريب وطنه وود لو ان فيها يقضى عمره وزمنه . . وفى القرن الشامن عشر – السابق على الحملة الفرنسية – يصف الرحالة الموريتلاني الجزائري مصر قائلاً : ووبالجملة فمصر أم البلاد شرقاً وغرباً ، لا تستغرب شيئاً عا يحكى عنها ه .

تنتهى رسالة أستاذ التاريخ وهو يسأل مستغرباً إذا كانت هذه هي حالة مصر ، كما عرفناها من الرحالة العرب : فهل ننسى عدة قرون

عاشتها مصر ونحتفل بثلاث سنوات هي عمر «الحملة» ؟ سؤال يعيدنا للسؤال السابق:

إذا كان ذلك كذلك ، فمن الأجدى أن نقول بنظرة شمولية :

من الذي أثر ومن الذي تأثر ؟

وللإجابة عن السؤال لا يجب أن نقرأ التاريخ من الفصل الثانى ، فلا يجب أن نرى فى (العولمة) علامة اطراد وتقدم دون أن نعرف ما سبقه من المغامرات الأمريكية الشرسة شرقاً وغرباً فى العالم كله بالمرحلة الإمبريالية ليصل إلى الرأسمالية ويطورها فى اتجاه المصلحة ، المصلحة لا الأخلاق .

غير أن لحديث العولمة وعلاقاتها بنابليون موضع آخر ◆

### نابليون .. هل كان (أبو) العولمة .. ١٤

ما يثار الآن كثيراً حول العولمة يثير سؤالاً هاماً: هل العولمة ظاهرة تاريخية أم هي معاصرة ؟ وبشكل آخر:

هل عُرفت الظاهرة في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر أم هي نتاج السنوات الأخيرة من القرن العشرين ؟

وتزيد الحيرة هنا أن هذا يحدث في مناسبة مرور ( ٢٠٠٠) مائتي عام على غزو الحملة الفرنسية لمصر . . وما يدور حولها من أخذ ورد .

وهو ما يطرح سؤالاً جديداً:

هل كان نابليون - في عصره (أبو العولمة) ؟

أو أنه كان أحد رموز العولمة في مراحلها المتنابعة ؟ والإجابة عن كل هذه الأسئلة تهمنا في المقام الأول سواء لتحديد موقفٍ بونابرت كاستعماري - لا كرسول حضارة كما يزعم البعض ،

وأيضاً ، تحديد موقفه في دائرة العولمة (الأمركة) التي نعيش فيها الآن. والواقع أننا لا نستطيع أن نخرج من هذه الحيرة دون أن نشير إلى تطور الظاهرة - تاريخياً ، قبل أن نصل إلى ممارستها (النابليونية) في السنوات التي قضاها القائد الفرنسي في مصر . .

\*\*\*

تتعدد الآراء وتتحدد منذ السنوات التي عرفت ببدء الكشوف الجغرافية في الغرب في القرن الخامس عشر هي التي مهدت لهذه الظاهرة .

وإذا أردنا تاريخاً محدداً يهمنا أكثر ، لتوقفنا عند القرن الثامن عشر ففي هذا القرن كانت أوربا قد عرفت تطورات إنسانية كثيرة . ويتبنى السيد ياسين رأى روبرت بروتسون (فى ندوة العرب والعولمة التى عقدت ببيروت) الرأى القائل أن هذه الفترة من منتصف القرن الثامن عشر حتى قرب منتصف القرن التالى كانت هى مرحلة النشوء ، فقد حدث تحول حاد فى فكرة الدولة المتجانسة الموحدة ، وأخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية ، وبالأفراد باعتبارهم مواطنين لهم أوضاع مقننة فى الدولة ، ونشأت الاتفاقات المتعلقة الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول . بدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوربية فى المجمتع الدولى. بدأ الاهتمام بالموضوعات القومية والعالمية .

غير أن مرحلة الانطلاق عرفت في هذه الفترة التي خرج الجيش الفرنسي من بلاده ليغزو إنجلترا فلما وجد صعوبات اتجه إلى عدة دول أوربية مر فيها بإيطاليا قبل أن يصل إلى مصر ، في هذه الفترة ظهرت مفاهيم كونية ومفاهيم تتعلق بالهويات القومية والفردية ، وتم إدماج عدد من المجتمعات غير الأوربية في المجتمع الدولي وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها ، كما حدث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال .

وهذه هى الفترة التى جاء فيها نابليون إلى مصر وهو يحمل فكرة تطبيق الزمن العالمى (وإن احتفظ بتطبيق تقويم للجمهورية الفرنسية) وبعض الأفكار العنصرية ، كما تبنى عدة أفكار كانت نتاج التطور العالمي ممثلاً في بيانات الثورة الفرنسية سواء ما جاء إبان قيام الثورة في فرنسا أو عبر بيانات الثورة / الحملة في مصر فيما بعد .

وقبل الاستطراد حول تبنى نابليون للنزعة الإنسانية لابد من تحديد نستطيع فى ضوئه رؤية موقع الحملة الفرنسية من التطور الزمنى الذى انتهى بالعولمة فى نهاية القرن العشرين. يجب ان نسارع بالقول هنا : إن نابليون وإن تبنى مقولات وأفكاراً تنتمى في بعضها إلى العولمة كما هي معروفة الآن ، وأن ما جاء بها إنما كان مرحلة من مراحل تطور هذا المفهوم . ففي هذه الفترة المبكرة من تاريخ العالم ، لم يكن من الممكن أن نصف زمن بونابرت بأنه زمن العولمة وإنما نستطيع أن نطلق عليه مرحلة من هذه المراحل ، ونستطيع بشكل أدق أن نسمى هذه المرحلة مرحلة العالمية ، والعالمية مفهوم يغاير عمام مفهوم العولمة .

ومراجعة أكثر من معجم يتضح لنا هذا المفهوم ، فبالعودة إلى معجم ويسترازوا كامبردج (١٩٩٦) سنجد أنفسنا أمام معنى مغاير لما في ذهننا عن العولمة منذ فترة مبكرة فالعولمة Sibalization في هذين المعجمين تشير إلى معان تقترب من العالمية Universalisation ، وفي حين نعرف فيما بعد أن العولمة تهدف إلى استخدام العنف الثقافي في إقصاء الخصم وقمعه والإحلال بدلاً منه ، فإن العالمية تظل هي طموح الارتفاع إلى كل ما هو إنساني واستخدامه لما هو خاص ، وإن ظل مصطلح العالمية هنا تابعاً – في تفسيره – إلى العولمة وبينما تطرح العالمية أفكاراً إنسانية قد تقبل بالتبادل بن الثقافات حن يحدث تداخل أو امتزاج) فإن العولمة تسعى إلى سلب الخصم لفرض إرادته وهويته ، وبالتالي نفيه من العالم وفي حين سعى نابليون للهيمنة على الخصم لفرض إرادته بالمفهوم الإنساني ، فإن بوش (وكلينتون فيما بعد) سعى إلى أكثر من ذلك عبر (الرأسمالية الوحشية) كان من المكن أن نلحظ في القرن الثامن عشر تطور المركزية الأوربية ممثلة في صراعات دول أوربا نفسها، وهو ما تطور أكثر في تبني فكرة (الاستعمار) الذي تبلور باسم آخر هو (الحضارة) ثم في مرحلة تالية إلى (العولمة) .

وإذا كان الفرنسيون في عصر المركزية الأوربية اعتبروا أن من

واجبهم تعميم أفكار الثورة الفرنسية - وإن لم يكتفوا صادقين في حالة تطبيقها على الشعوب ، كما رأينا في الكتابات السابقة - فانهم لم يكتفوا بالحديث عن دور فرنسا الحضارى فيما بعد وفي جميع الحالات مثل نابليون في عالميته مرحلة من مراحل (العولة) وتمهيداً لها كان يسمى إلى السيطرة على العالم في صراعه مع إنحلترا ، وتكوين الإمبراطورية (العالمية) ، وهو ما كان يظهر منذ فترة مبكرة - في أفكاره إبان الحملة وبياناته وصحفه ، وأحاديث الكثير من مثقفي الحملة الفرنسية في مصر وذكريات جنوده فيما بعد ، بل وفي ذكرياته هو نفسه - بعد نفيه - وهو ما يقترب بنا من وعي نابليون لهذه المفاهيم .

杂杂类

إن هذا الوعى البونابرتى لمعنى السيطرة والهيمنة الكاملتين نجده فى حياته الطويلة ، وسوف نكتفى بعدة أمثلة هنا تغنى عن مئات الأمثلة والمواقف الأخسرى . وسوف تحدد هذه الأمسئلة حول الربط بين الإمبراطورية الفرنسية - كما كان يراها - والإمبراطورية الرومانية (العالمية) في أوج توسعها وسيطرتها على العالم .

إن نابليون – كما لاحظنا مراراً – لم يكن ليكف عن الحديث في فتوحاته إلى المدن الإيطالية (الرومانية) ، وتلاحظ د . ليلى عنان في دراستها الأخيرة حول الحملة إن الحرب التي بدأت بالفعل كعودة إلى سياسة فرنسا الأزلية ، تحولت سريعاً إلى الرغبة في التوسع ، وأصبحت تلك الرغبة هي الهدف الحقيقي لهذه الحروب . وتكرر الإشارات الكثيرة إلى جنون العظمة الذي انتاب خلفاء روما ، كما رسمه لهم الفنان دافيد صاحب اللوحات الكلاسيكية الشهيرة عن تاريخ روما ! وكانت هذه الرغبة في التوسع أحد مظاهر هذا الجنون وهذا التقمص للشخصية الرومانية الفذة .

وعلى هذا ، لم تكتف الثورة الفرنسية عن محاولة الوصول إلى حدود الإمبراطورية الرومانية في أوج توسعها ، وإنما تلمست أيضاً القانون الروماني كرغبة دفينة في التوسع العالمي والهيمنة بحيث تصبح الثورة وحكومة الإدارة – بالتبعية – عالمية النزعة . ولم يكن هذا النزوع إلى العالمية لدى المثقفين الفرنسيين فقط ، وإنما كان يكن رصده لدى السياسيين قبل خروج الحملة من فرنسا أو بعد وصولها إلى مصر ، وعلى سبيل المثال ، عندما تقدم الوزير (تاليران) مشلاً بمشروع غزو مصر لحكومة «الإدارة» قال عبارة لا تخلو من معنى :

## وكانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية ، فينجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية:

وعلى هذا يمكن تفسير كيف اختار نابليون (لقب القنصل الأول) لقباً يحكم به فرنسا التي أصبحت الآن تستحوذ على بلاد كثيرة ، فحينما تخلصت من ملوكها الطغاة وتحولت إلى الجمهورية المثالية التي حكمت العالم بقوانينها العادلة ورجالاتها النزهاء الوطنيين . أصبحت كلمة قنصل - كما تلاحظ د . عنان أيضاً - لقباً للحاكمين اللذين يتقاسمان السلطة العليا فيها . وبما أن الثورة وصلت - كما توهم مشرعوها - إلى ذروة المجد والفضيلة ، وحلت محل روما وتقمصت دورها ، فقد أنشئت حكومة جديدة بعد الانقلاب بها ثلاثة قناصل ، وكان بونابرت القنصل الأول فيها ، فهو التجسيد الحديث للقائد الروماني المنتصر بزيه الوطني الفاضل . كان يلقب بالجنوال الجمهوري بالمعنى الروماني للكلمة ، وبكل ما توحى به الكلمة من فضائل ، المعند رموزها من نزاهة وتمجيد القانون الروماني ، وهو المعنى الذي نفهمه من أحد ضباط بونابرت في مصر (جوزيف ماري) ، فهو ينقل نفهمه من أحد ضباط بونابرت في مصر (جوزيف ماري) ، فهو ينقل لنا كثيراً من بهانات نابليون ومواقفه في مصر ليؤكد هذا المعني ، فهي

١٠ مايو ١٧٩٨ يقول بونابرت في بيانه إلى الجنود :

ولقد كانت فيالق الرومان التي اتخذتم منها أحياناً مثلاً تحتذونه ، وإن لم تبلغوا شأوها ، تقود المعركة تلو الأخرى في « زاما ، وكان النصر دوماً حليفهم ، لتحليهم بالشجاعة والعبير على الشدائد ، والتزامهم النظام والتوحده .

وعلى هذا النحو ، مثل نابليون مرحلة متقدمة من مراحل (العولمة) في تطورها إبان «مرحلة الانطلاق» - وهو تعبير روبرتسون - نحو تطور العولمة إلى الصراع من أجل الهيمنة التي استمرت إلى منتصف الستينيات من هذا القرن على وجه التقريب وإلى أن أصبحت العولمة في التسعينيات واقعاً يعود بمرجعيته الأمريكية إلى الأمريكيين وعاد بمرجعيته الأوربية - بالتطور التاريخي - إلى السيطرة الأوربية . . إنها (العولمة) الغربية بشكل ما

条款券

وقد لا يخلو من مغزى أن الفرنسيين الآن - كجزء (من المركزية الأوربية) - يرفضون هذه العولمة الأمريكية في (الجات) (\*) فراحوا ينتزعون مصطلح (الاستثناء الفرنسي) ، وحاولوا أن يحافظوا على هويتهم من هذه الرأسمالية المتوحشة . في هذا السياق . إن استخدام الفرنسيين للألفاظ يحمل هذا المعنى ، ففي الصحف الفرنسية لا نقرأ مصطلح العولمة بالمفهوم الشائع Globalization وإنما يستخدم بدلاً منه المفهوم الفرنسي الخالص Mondialisation فهم يرونها أوربية وليست أمريكية ، لانهم يرفضون أن يروها كذلك وهو يحمل معنى استعمارياً مضمراً .

<sup>(\*)</sup> انظر كتابنا (الجات والتبعية الثقافية) ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ١٩٩٧ ، أيضًا ط٢ مكتبة الأسرة ، هيئة الكتاب ١٩٩٩.

بقى أن نقول إننا الآن - في نهاية القرن العشرين - أقل مقاومة وأقل تماسكاً مما كنا عليه في نهاية القرن الثامن عشر

لقد استطاع أجدادنا المقاومة بإرادتهم التي افتقدت السلاح النارى والمدفعية وآلات الحرب التي كان الغرب قد عرفها ، أما الآن ، فإنا نفقد الكثير ، ثما يخفيه الغرب عنا ، ويحاول (العولمة) بمعناها الأمريكي الصرف .

ترى متى نعى جيداً مخاطر (العنف الثقافي) الجديد ونحاول مقاومته بالإرادة والفعل في آن واحد ؟ . ♦

#### المثقف .. والمسيخ الدجال !!

لا أعرف لماذا تذكرت هذا الخبر وأنا أقرأ ما يكتبه عدد كبير من الكاتبين عن الحملة الفرنسية ونابليون وشاتوبريان وغيرهم .. الآن ؟ والخبر يقول أن : «خطيباً بالعاصمة وقف فوق المنبر وبلهجة واثقة راح يؤكد أن سياسة إسرائيل وأمريكا تطابق تماماً سياسة المسيخ الدجال ، وهو ما يوحى باقتراب الساعة ووسط صيحات المصلين استطرد قائلاً : إن المسيخ الدجال سوف يخرج من مثلث برمودة ، وهو الشيء المشار إليه في الرسومات إذا تم طرحهما يمكن معرفة عدد السنوات المتبقية بالضبط على ظهور هذا المسيخ وبالتالي يمكن معرفة قيام الساعة » .

ينتهي الخبر وتبدأ التساؤلات .

ولعل القارئ الكريم يسأل معى - ويعجب - لماذا تذكرت صورة هذا الخطيب وأنا أقرآلهذا الكاتب الكبير أو ذاك فلا أعرف منه أنه قرأ المصادر الأساسية عن الحملة ، أو عرف التقارير والرسائل والدراسات وما أكثرها التي كتبت عن مصر في فترة مجىء الحملة - فضلاً عن كتابات مدرسة التاريخ الحديث في فرنسا - ليصل من هذا كله إلى يقين أو شبه يقين يدفع به ليكتب عن الحملة .

قد نجد إجابة لهذه الأسئلة .

\*\*\*

ربما هذا جزء من الإجابة ، لأن كتابنا في قضية الحملة الفرنسية (وقضايا كثيرة أخرى معاصرة كقضية العولمة أو قضية الصراع العربي الإسرائيلى منذ نصف قرن . . إلخ) لا يشغلون أنفسهم بالكتابات والوثائق الكشيرة التي كتبت عن الحملة منذ غادر نابليون مدينة «تولون» في أسطول ضخم ليهبط بالإسكندرية في أول يوليو منذ مائتي عام . . ولماذا يجهدون أنفسهم و (المرجعية) التاريخية لعلاقتنا بفرنسا لا تحتاج كل هذا الجهد ؟

ولماذا يهتمون والعلاقات المصرية الفرنسية هذه الفترة تأخذ شكل (الاحتفالية) التي تحدد المواقف عليها دون تفاصيل كثيرة ؟

ولماذا يرجعون إلى المكتبة الأهلية بباريس (حيث وثقت وثائق الحملة وأوراقها في أجهزة معلوماتية حديثة) أو مكتبة القاهرة (حيث جاء المثقف كامل زهيري بآلاف الوثائق عن الحملة وما بعدها ..) .

ولماذا يهتم هذا المثقف أو ذاك وهو يسمع (تحيا ثقافة السماع) أن نابليون استطاع أن يحضر إلى البلاد بمكتبته ومطبعته ، وأن علماء الحملة قاموا بالبحث والتنقيب وعمل المقاييس ورسم الرسومات ومسح المناطق في كل البلاد ونقل أمهات الكتب التراثية وعديد من قطع الآثار المصرية مع رجال الحملة حين ذهبوا من مصر ؟

لاذا يرهق المثقف نفسه ، وهو في إمكانه – على طريقة الخطيب – أن يتحدث إما عن الدور الحضارى الكبير الذى لعبته فرنسا في تحضير مصر وإخراجها من العصور الوسطى ، أو – على الجانب الآخر – إذا لم يصدقه أحد راح يتحدث عن فسرات من الساريخ استطاع آخرون أن يلعبوا هذا الدور لتحضير مصر (الحروسة) خائضاً في سيرة الإسكندر وخلفائه أو المعز الفاطمي وفتوحاته أو .. حتى جاء نابليون ليتفوق على قمبيز ويقلد الإسكندر ويتحضر أكثر عن جنكيز خان أو هولاكو .. لاعناً هؤلاء الأصولين الذين يغضبون من الغازى (بونابرته) الذي أضاع البلاد وأهلك العباد .. إلخ

أو يلجأ – متعمداً – ليجامل فيتجاهل العلم إلى المصلحة الخالصة !؟ وما يقال عن الحملة يقال عن قضايا أخرى معاصرة كثيرة .

米米米

بيد أننا سنرجئ هذه القضايا الكثيرة التي يخوض الغالبية عندنا فيها - بغير علم - ونتمهل عند هذه الحملة الحضارية التي «كانت لها جوانبها الثقافية والحضارية التي بدأت منها نهضتنا الحديثة في أوائل القرن الماضي» - على حد تعبير أحد كتابنا الكبار - فالغريب في الأمر أن لدينا من يعتقد بتأثير الحملة الحضاري بشكل يفوق هذا التأثير إذا كان ثمة تأثير .

وقد كان أكثر ما آلمني هذه الرسالة التي جاءت من أستاذ مساعد بالقسم الفرنسي بآداب الإسكندرية - د . دينا جمال الدين أمين - وتتحدث فيها عن ضرورة أن نجاوز مرحلة الجمود الفكري إلى ضرورة التفاعل مع التاريخ من منطلق واقعنا ، فقراءة التاريخ من موقع الحاضر هي الوسيلة الحقيقية والفعالة للتعبير عن الذات ، والقدرة على فرض وجهة نظر أو رؤية للتاريخ .

حسن فلننقل أهم ما جاء في رسالة د. دينا، تقول بالحرف الواحد: لقد استفاد أعضاء الحملة الفرنسية من ذلك الدرس الذي برهنت عليه الحملة الفرنسية ذاتها التي سرعان ما أصبحت أم الثورات في أوربا والعالم الجديد، لقد جاء أبناء الثورة الفرنسية البكر لمصر بروح متفتحة لينهلوا من منبع الحضاوة الإنسانية بكامل عدتهم ودون إغفال أي جانب من الجوانب البحثية . جاءوا لمصر واغبين في التقلم في العلم والمعرفة والحياة كذلك استضاد أجدادنا من درس الحملة الفرنسية التعبوى والعلمي ، ليطوروا أنفسهم ويؤصلوا هويتهم ويدركوا أهدافهم .

ومن الصواب اليوم أن تبدو لنا الحملة الفرنسية بوجهها الحضارى (لا الاستعمارى) وفي سباق علاقات دولية قديمة ، ومفاهيم حضارية الاستعمارى) وفي سباق علاقات دولية قديمة ، ومفاهيم حضارية مسبادلة مع احترام للاختلاف بالإضافة إلى قيم اقتصادية حديثة لها أسلحتها الفكرية والتكنولوجية التي تحكم بالتخلف على ما دون مستواها . لذلك فإن الخلاف حول الاحتفال يقدوم الحملة الفرنسية إلى مصر ليس بالقضية الأساسية التي تعنينا ، فالاحتفال ليس بالمعلة الفرنسا منذ ذلك الوقت ، وللتبادل والإثراء المشترك على مر السنوات الطويلة . هناك الوقت ، وللتبادل والإثراء المشترك على مر السنوات الطويلة . هناك قصة بن البلدين صنعها التاريخ ليفيد كل منهما الآخر . . إلخ .

وهنا تتداعى تساؤلات كثيرة :

وهل برهنت الشورة الفرنسية - حقاً - أنها أم الشورات بعد أن اختفت القيم الأولى التى ارتفعت مع خروج الجيش الفرنسي إلى دول أوربا لتحولها إلى دول تابعة للإمبراطورية الفرنسية (= الرومانية) ، ثم بعد أن جاء الجيش الفرنسي إلى مصر.

(نكرر المثل الذى سبق وأن ذكرناه فلم يمض قليل على قيام الثورة الفرنسية حتى اختفى المفهوم الثالث من شعار الثورة «الحرية والمساواة والإخاء»، فأصبح مفهوم الحرية والمساواة أما الإخاء فلا..) وهو المفهوم الذى أعقبه إجراءات ضد المستعمرات الجديدة بما فيها إبادة الآلاف حتى ولو كانوا من المواطنين الفرنسيين أنفسهم كما حدث في مقاطعة «فاندية».

وهل حقاً استفاد أجدادنا من درس الحملة التعبوى والعلمى (نشكك كثيراً في هذه الاستفادة، حتى ولو كانت - كما يقال - كرد فعل لهذه الحملة الاستعمارية (لقد عاشت مصر منذ خروج الفرنسيين سنوات فوضى كاملة اختفى فيها أي أثر للحملة بين ١٨٠١ - ١٨٠٥ فضلاً عن أن الوعى بالهوية ، وقد كان فائقاً ، وفي شتى الميادين - كما بينا من قبل - كان ظاهراً منذ نهاية القرن الثامن عشر .. إلخ) .

ثم وهل يمكن القول أن رحلة شاتوبريان (الرحلة من باريس إلى القدس) لمصر - كما أرفقت الباحثة فصلاً عنه - تتعرض للمعنى الحضارى الذى تمثله مصر وفتح باب زيارة مصر فى الأدب الغربى .. إلخ ، فى حين أن شاتوبريان حاول أن يحول الحملة وقائدها إلى أسطورة ويرى أن الإسلام يعادى الحضارة ولا يرى أثناء زيارته إلى مصر بعد ذلك غير أن مصر بها صروح الحضارة التي جلبتها الحملة الفرنسية .. إلخ وقد أسهبت فيه د . ليلى عنان فى كتابها الأخير حول الحملة ، وشاتوبريان فى هذا السياق وأشار إلى مثل ذلك أيضاً إدوارد سعيد فى كتابه عن الثقافة والإمبريائية .

ثم ما معنى الاحتفال بالحملة لكونها رمزا لتميز علاقتنا بفرنسا ، وهو ما يشير إلى الإصرار على الأثر الحضاري الذي تركته الحملة .

إننا كما يجب أن نحتفل بهذا الرمز يعنى أننا يجب أن نحتفل بالإنجليز الذين أنشأوا السكك الحديدية في مصر ، وقبلهم بكثير يمكن «الاحتفاء» ثم «الاحتفال» بالهكسوس قبلهم الذين أدخلوا العربة الحربية إلى مصر (كما تذهب بعض الروايات) . . وهكذا دواليك ثم وهل عاد أستاذ الجامعة حقاً لكل ما كتب أو أهم ما كتبه في موضوع الحملة ومؤثراتها قبل أن يكتب وهو ما يعود بنا إلى القضية الأساسية .

\*\*\*

وهو ما يعود بنا إلى هذه القضية التي تدهش من كم الكتابات عن -وحول - الحملة وتأثيراتها الحضارية في حين لم يعرف كاتبونا (أو لنقل
أغلبهم) المصادر الأساسية لما يكتبون في بساطة وإسهاب في عصر
المعلوماتية .

وهي ظاهرة نتعرف عليها في هذا الكم أو (الكوم) الضخم في الصحف والدوريات الأجنبية المصرية الآن .

لم يعد دور المشقف اجترار ما يعرف ، وإنما تغير الواقع إلى وعى كونى فى عالم يرتبط جوانبه بشبكة معلومات واتصالات لا تتوقف ثانية واحدة عن بث المعلومات لأية قضية فى نصوص وصور ثابتة ، وأصبح الانتباه واجباً فى عصر الاختراق الثقافي الغربي لهويتنا وكياننا

وحين نخرج من مجال المعلوماتية المتقدمة نصطدم بوعي الشقفين عندنا في قضية كالحملة الفرنسية وعبر أسئلة كثيرة منها :

من قرأ أرشيفات وزارة البحرية الفرنسية ؟

ومن عباد إلى الوثائق والمراسلات - وهى كشيسرة جدا وتتصل بعمليات جيش الشرق إلى مصر تحت عنوان (بيانات الجنوال نابليون) ونظن أن هناك نسخة كاملة منها في الجمعية التاريخية؟

ومن قرأ التاريخ العلمي والعسكري للحملة في مصر قراءة علمية متأنية ؟

ومن قرأ الكتاب المهم (حملة مصر) للاجونكيير وأعمال آندريه ريمون الذي يزور مصر الآن ؟

ومن عرف وثائق نابليون المنشورة في عهد الإمبراطورية الثانية ؟ ثم من قرأ (أوراق كليبر) التي نشيرها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ؟

ثم عاد إلى المصادر الأساسية في العربية فقرأ (عجائب ..) الجبرتى (وقد صدر لها أخيراً طبعة كاملة تحتوى على وثائق وتحقيقات وتدقيقات هامة للزميل عبد العزيز جمال الدين عن مكتبة مدبولى) أيضاً من عرف مخطوطات كثيرة معاصرة للحملة أو لاحقة لها بقليل كمخطوطة أحمد باشا الجزار .. وصحف بونابرت في مصر .. وكتاب مثل (درر نحور العين ..) للطف الله بن أحمد .. وكتاب نيقولا ترك (أخبار الفرنساوية ..) فضلاً عن كشاف بعديد من الوثائق الفرنسية في مكتبة جامعة القاهرة والجمعية التاريخية فضلاً عن المجلدات الضخمة التي تحتاج إلى إعادة نظر بالفرنسية والعربية (نوقشت أخيراً رسالة دكتوراة عن الجزء الخاص بالدولة الحديثة في كتاب وصف مصر ..) بينما هناك كنوز لم تفض بعد في كل من المكتبة الأهلية بباريس ودار الكتب المصرية وأيضاً بمكتبة القاهرة والجهد الذي يبذل في صمت بجامعة عين شمس تحت عناية د . عبد العزيز نوار في هذا الصدد بينما ظلت بقية المجلدات غامضة بعيدة عن التحقيق الدقيق (يمكن أن تستثني في هذا جهد د . أيمن فؤاد في كتابه المترجم : وصف مدينة القاهرة ..) غير أن طائراً واحداً لا يغرد وحده . أو ، أن مثقفاً واحداً ، لا يستطيع أن يغرد وحده في وجود عشرات من أمثال المسيخ الدجال ♦

# جومار .. هل تعرف جومار ؟!

يظن - وبعض الظن إثم - أن كتاب (وصف مصر) ، وجومار أحد علمائه ، كان أحد الآثار الإيجابية التي تركتها الحملة الفرنسية في مصر ، أو لمصر .

ولأن بعض الظن غيسر إثم ، فقد لاحظنا - وهو قول قد يضاجئ المتحمسين الوصف مصر » - أن هذا الكتباب لم يكن ليوضع ، لو لم يكن وراء ذلك نفع خاص للحملة الاستعمارية ، وتحقيق أهداف فرنسا قبل أن يعود هذا أو لا يعود بالنفع على مصر (بغض النظر عن حكاية دهاء التساريخ) وأبرز دليل على هذا أن جنزء الدولة الحديشة في هذا الكتباب بدأ فيه مؤلفه جومار بالسطور التالية : "إن المعلومات التى سنطالعها فيما يلى هي في الخريطة المساحية للقاهرة ولزيادة نفعها ،

ونلاحظ هنا كلمات دالة شديدة الدلالة مثل «المعلومات» و«كلفنى به» واستكمال الخريطة المساحية للقاهرة «لزيادة نفعها». بلغة أدق ، فإن ما قام به جومار - وهو ما تؤكده كل مصادر هذه الفترة - كان لتأكيد الحماية للفرنسيين وهو ما سنسهب فيه أكثر وقبل أن نستطرد أكثر حول هذا لابد من الإشارة إلى العالم جومار.

.. هل تعرف العالم جومار ؟

هذا جيزء من الإجبابة عن السؤال حيول جيومار وجيزء من الدولة الحديثة الذي كتبه من (وصف مصر) ...

\*\*\*

إن جومار - لمن لا يعرفه - هو مهندس وجغرافي وأثرى فرنسي ،

وهو أحد أعضاء البعثة العلمية التى صاحبت الحملة الفرنسية على مصر وعضو فى المعهد العلمى المصرى بين عامى ١٧٩٩ و ١٨٠١ وقد شارك مع آخرين فى تأسيس الجمعية الجغرافية فى باريس فى بداية العشرينيات من القرن الماضى غير أن أهم ما كتبه كان كتابه (وصفه للقاهرة وقلعة الجبل) الذى نقله عن الفرنسية د . أيمن فؤاد (\*) وبذل فيه جهداً كبيراً مما حفزنا إلى التنبيه إلى دوره أكثر .

ومراجعة كتاب (وصف مصر) يرينا أنه كان في الأصل دراسات وتقارير ومذكرات وأوراق كان الهدف من كتابتها أول مرة الإفادة من المعلومات التي تقدم من أجل استقرار الفرنسيين في مصر، ويمكن تحديد الفترة التي تم فيها رصد هذه الأحداث وحتى عودة الحملة إلى فرنسا والانتهاء من الكتاب بمجلداته كلها بالفترة التي تقع بين عامي ١٧٩٨ - ١٨٩٨ في فرنسا والكتاب نفسه يصف القاهرة في السنوات الثلاثة التي قضتها الحملة في مصر (وتحديداً بين ١٠ ديسمبر ١٧٩٩ وأواسط فبراير ١٧٩٠) وهي الفترة التي قام بها جومار بجولته في القاهرة في المادينة ورصد المعلومات الهامة عنها في كل الميادين.

ومهما يكن من الجهد الذي قام به جومار من وصف طبوغرافي وخريطة تفصيلية .. وما إلى ذلك ، فإن الهدف الرئيسي يظل التعرف – أكثر – على القاهرة ليستطيع الفرنسيين السيطرة عليها. وهو ما نقترب منه أكثر في ضوء مصادر هذه الفترة لعل من أهمها يظل كتاب جومار – الذي نقله بدقة وعلق عليه أيمن فؤاد – في المقدمة وهو ما يتأكد في ضوء كتابات أخرى من بينها «عجائب» الجبرتي وأطروحة دعبد الله عزباوي وبعض المصادر الأخرى ...

\*\*\*

<sup>(\*)</sup> مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٨

من ذلك ما يطرح نفسه علينا أثناء قراءة جومار هذا الوجه الحضارى الذى كانت عليه القاهرة رغم كل ما يقال عن تخلفنا وجمودنا ، وهو امتداد للربع الأخير من القرن الثامن عشر ، وباعتراف جومار الآن فى كتاب اجتهد فيه صاحبه ، أنه عاد إلى بعض العلماء والمستشرقين الغربين من أمثال فونتير ومارسيل وسلفستر دى ساسى نجده يعترف أيضاً أنه ما كتب ما كتب إلا باستفادته بنصوص كثيرة أوردها المؤرخون والكتّاب العرب الذين عاد إليهم من أمثال المسعودى والادريسي وأبى الفدا وعبد اللطيف البغدادى وعبد الرشيد البكوى وابن العميد والذهبي والمقريزى وابن إياس والسيوطي وحاجي خليفة . . إلخ خاصة حين يتعلق الأمر بطبوغ افية القاهرة وظواهرها .

بل إنه استفاد بكتابات عديد من الكتاب العرب أكثر من الغربيين ، وهو قائم فيهما كتبه وهو ما يظهر في الحديث عن المعالم والسكان والصناعة والتجارة والثقافة الدينية منها والعملية في مدينة القاهرة . وهو ما يؤكده لنا مراجعة ما كتبه جومار . وسوف نختار من هذا عدة ظواهر أخرى دالة على ما كانت عليه مصر في ذلك الوقت .

3/4 3/4 3<sup>(4</sup>

تتمثل إحدى هذه الظنواهر في الجامع الأزهر لما لعبه من دور إيجابي ليس في العلوم الدينية فسقط ، وإنما في غير ذلك من العلوم العصرية .

ففى حين يشير الباحث العربى - عبد الله عزباوى فى أطروحته عن الأزهر وعلماء الدين . . من أن العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب لم تكن لتدرس فى الأزهر وغيره من المدارس الدينية فى مصر فى القرن الشامن عشر ، فإن الباحث الفرنسى - جومار - فى بابه عن المساجد يذكر العكس .

إن جومار الذى لم يكن ليحمل وداً طيباً للمصريين ، بل تعصباً ظهر فيما بعد ، ومع هذا يذكر أن الجامع الأزهر «من بين أقدم الجوامع وموارده ضخمة جداً يصرف القسم الأول منها على تزويد مكتبة وتحويل مؤسسة أشبه بالجامعة كان يدرس بها فيما سلف الطب وعلم الكلام والشرائع والرياضيات والفلك والتاريخ .. ، فضلاً عما كان يعلم به المعارف العامة والعربية الفصحى بعناية فائقة ويسهب جومار في الأعداد الهائلة التى كانت تتعلم بالأزهر حتى تصل إلى اثنى عشر ألفاً - كما يشير عطعمون أكثرهم فيه ويوفر لهم المسكن وما إلى ذلك .

فالأزهر إذن:

لم يقتصر العلم فيه على العلوم الشرعية كما هو شائع ، وإنما
 العلوم الطبيعية والرياضية أيضاً .

- والأزهر لم يقتصر التعليم فيه على عدد قليل من مصر، وإنما جاوز مصر، إلى شتى أنحاء العالم المعروف، فأصبح أقرب إلى (جامعة ضخمة) وليس داراً للعلم أو (كتاباً) كبيراً، ويؤمه عدد لا يحصى - كما يقول في موضع آخر - من الجنسيات الختلفة، والذين يأتون لتلقى العلم في القاهرة وعلى الأخص - ولاحظ تعدد الأجناس وتباينها - الفرس والشوام والأكراد وعرب الحجاز واليمنيون والهنود وأفارقة من غرب أفريقيا. إلخ وذلك دون الحديث عن السكان المنتمين إلى أقاليم مصر العليا والسفلى، كما يشغل الجامع في هذه الفترة رواقاً مستقلاً للعميان.

وحين يجيء دور (الكتاتيب) فإنه كان لا يملك غير الثناء على هذه، الدور التي تُمنح الأموال من (الأوقاف)، والمفاهيم التي كانت تلقن في هذه الكتاتيب «رغم بساطتها» في تعبيره فإنها لم تكن تكتفي بالقراءة والكتابة والحساب، وإنما كانت - في تقديره - لم تكن غير «مدخل إلى التعليم الجامعي، أي الذي يُعطى في الجامع الأزهر ومدارس

أخرى.. و .. ومن ناحية أخرى فإنه لشىء حسن أن يجد الناس عدداً من الدور المفتوحة التي يستطيعون أن يحصلوا فيها معارفهم الأولى الضرورية في حين يلقنها في أوربا ربع أو خمس الآباء لأبنائهم،

وهو ما يشير إلى أن العلم كان متقدماً في الأزهر ، وكان يدرس داخل الأزهر وخارجه العلوم الدينية والعلمية الأخرى .

فهل مازلنا نتحدث عن القيم العلمية التي أكسبها الفرنسيون للمصرين في ذلك الوقت ؟

لنتمهل عند ظاهرة أخرى .

\*\*

فبدلاً أن نتحدث عن الدور الإيجابي التي تركته الحملة في مصر في ذلك الوقت ، نجدنا نتحدث عن الخراب الذي خلفته في عديد من المناطق بحكم تأكيد الوجود والبحث عن الأمان وتحصين قواتهم .

وما يعترف به جومار هنا يقول به العديد من المصادر الأخرى وفي مقدمتها مؤرخ معتدل مثل الجبرتي .

إن قارئ الجبرتى – على سبيل المثال – يلاحظ أن الفرنسيين خاصة فى الفترة الأولى من وجودهم فى مصر ، وخاصة إبان ثورات المصريين عليهم أو القلاقل التى كانوا يستشعرون بها – كانوا لا يترددون فى تدمير كل ما يواجههم ، وإبادة كل ما يقف فى وجه استقرارهم فى مصر بغير تردد (وهو ما فعلوه فى فرنسا نفسها عقب الثورة الفرنسية ثم فى الأقاليم التى كانت تحيط بفرنسا كإيطاليا ..) .

إن (عجائب الجبرتي . . ) تمتلئ بكثير من هذه العبارات وهو يشير إلى العسكر الفرنسيين :

- إنهم كانوا «يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات...».

- إنهم «شرعوا في خلع البوابات والدروب الغير نافذة أيضاً ... .

- إنهم «هدموا الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والتكايا .. » ويمتد الخراب إلى مناطق عديدة يذكرها الجبرتي بالاسم مروراً بالرميلة وصولاً إلى دور الأزبكية وصولاً إلى عديد من المناطق والقرى الكاملة في الصعيد التي تحرق بسكانها إذا أحس الغزاة منها بالمقاومة .

إن مراجعة جومار ترينا أنه يعترف أنه باستيلاء الفرنسيين على مصر فقدت عدداً كبيراً من المنازل التي كانت تعيق اتصال مركز القيادة ومراكز الفرنسيين الأخرى بالقلعة ، ويعترف بوضوح شديد أن الفرنسيين – وهو يتحدث بضمير المتكلم – : «لم نجد ، في هذه الفترة، الوقت الكافي لتشييد شيء هام . . إلخ » .

وحين يشيس أن الفرنسيين لم يستطيعوا تنفيل بعض ما أرادوه من إصلاح ، فإن ما حاولوه في هذا السبيل يتحدد في عدة أشياء كانت تخدم رجال الحملة أكثر من أهل البلاد ، فحين يذكر أنه إبان تسجيل كل الوفيات بدقة مع تمييز نوع الجنس احتى نتعرف على عدد الوفيات، يسمى ذلك إصلاحاً .

ومن ثم ، يضيف ، وقد ذهبت كل هذه الإصلاحات بذهاب الإدارة الفرنسية ، وكانت الإدارة الفرنسية جادة فعلاً فيما فعلته أو فيما قدرت الفرنسية ، وكانت الإدارة الفرنسية جادة فعلاً فيما فعلته أو فيما قدرت على الورق - أن تفعله لصالح البلاد ، ومراجعة مذكرات نابليون بعد أن عاد إلى سانت هيلانة ، يرينا أنه كان كثير الأحلام كلما جاء ذكر مصر ، فهو يتحدث عن المدينة التي كان يزمع الحكم فيها (ليستطيع أن يحكم العالم) وأنه لولا غزو مصر لما استطاع أن يصبح حاكماً لفرنسا، وفي هذا السياق كلام كثير عن هذه الأحلام التي كان يمكن أن تحيط العاصمة بأسوار من الأشجار ، وتحول جبل (القطم) إلى مساقط

للمياه. . إلى غير ذلك مما كان يصب في (أسطورة) حاكم الغرب .

بيسد أنه لا يجب أن ننهى هذه السطور دون أن نشسيسر إلى عسدة ملاحظات ، منها :

إننا في حاجة إلى إعادة الطرح الذي سبق وأن أشرنا إليه هنا ، وقد طرح بإصرار لدى عدد من الكتّاب لعل من بينهم الأمريكي بيتر جران من أن الحملة عملت على إجهاض التطور الطبيعي الذي كانت تمر به البلاد كما أن روح المقاومة لم تتوقف قط طيلة وجود الحملة في مصر وإبان العمل على السيطرة بشتى الوسائل التي وصلت إلى حد التدمير الشامل.

ثم - وهو ما يجب إعادة النظر إليه مرة ومرة - إن اوصف مصر الم يكن أحد الآثار الإيجابية التي تركتها الحملة في مصر كما يردد البعض حين يتحدثون عن مآثر الحملة الفرنسية فيضيفون إليه شامبليون وبعثات محمد على والسان سيمونيين . . إلخ وهو ما يقول به كثيرون ومنهم جومار نفسه حين يتحدث عن اوصف مصر ال

وهو ما يدفعنا إلى إعادة طرح سؤال جديد هو: «وصف مصر» أم «وصف فرنسا» ؟

هذا هو السؤال .. 🔷

# (وصف مصر) .. أم (وصف فرنسا)؟!

أشرنا من قبل إلى كتاب الحملة (وصف مصر).

وأشرنا إلى المغالاة لدى الفرنسيين - ورائهم المتفرنسون - في الأثر الحضارى الذى تركه (هكذا) علماء الحملة ، وهو أثر لا يتعدى كونه لونًا من ألوان الزيف ، فما حرص علماء الحملة عن الكتابة عنه كان لنوازع فرنسية كثيرة في المقام الأول .

فإلى جانب أن ما كتب ، كان فى الأساس دراسات وتقارير وأوراق .. إلخ قصد بها تأمين وضع الحملة فى مصر وتأكيد دورها العسكرى ، فإن هناك نوعاً من (الفوبيسا) أمسكت بتلابيب الفرنسيين عن الحضارة الفرعونية وأساطيرها التى كانوا يعيشون فيها ، ومن ثم ، حرصوا على أن يتعرفوا على آثار مصر القديمة وبالتبعية - آثار (ألف ليلة وليلة) المستزجة فى أذهانهم بحريم الشرق وعوالمه الغامضة ومفرداته الساحرة ومن هنا ، فإن المتمهل عند كتباب (وصف مصر) لا يزيد على أن يكون تصوراً نفسياً ودأمبريقيا ، للفرنسيين القائمين فى مصر سواء أكانوا علماء أو علمين أؤ فنانن .

لقد بدأت الأمور أمنية .

هذه حقيقة لا مراء فيها .

واتخذت الصورة تشكيلات كثيرة لا تمت إلى الأصل بصلة .

ولعبت العنصرية فيها دوراً مؤكداً.

وفي جميع الحالات أصبحت نوعاً من (السيكولوجية الذاتية)

إذا جاز لنا استخدام هذا المصطلح للتعبير عما انتهى إليه الفرنسيون في مصر.

杂杂染

امتزج بالأمن «الفوبيا» وزيد إليهما الأسطورة وأصبح حاصل هذا كله هذا الزيف الذي يريدون أن يجعلونا نصدقه.

والغريب أن عدداً كبيراً من الجانب العربي صدق هذا الزيف إما لضعف التحصيل أو لعنف التأثير . .

وليس من المصادفات أن يسمى القرن الثامن عشر فى الغرب ( بقرن شهر زاد) .

اختلط الأمن بالهوس.

فإذا بنا أمام (حالة) الفرنسى نفسه وليس المصرى بأية حال والأكثر من هذا، فمن كان يبحث عن المصريين فى وصف مصر قلما يجد الصور المشرقة للمصريين من الطبقات الوسطى أو الأرستقراطيين، وإنما كان التركيز - وهو ما لا نخطأه فى جزء الدولة الحديشة فى وصف مصر لجومار - على الطبقات الشعبية، وهذه الفئات المغرقة فى البؤس والفقر، فجومار - على سبيل المثال - حين يتحدث عن عادات المصريين يترك رجال جامع السلطان حسن (الرائع) - على حد وصفه - ليغرق فى وصف حالة من البؤس للطبقات الشعبية، وكأنه يختارها اختياراً، يقول: ومنازل صيقة حتى إننا ندرك بالكاد أن آدميين يمكنهم العيش بها، ومنازل صيقة وصغيرة حتى ليظن إنها مخصصة على الأرجع للكلاب في وضيعة وصغيرة ارتفاعها أربعة أقدام ومبنية من الطين الممزوج . فهي الحواخ مستديرة ارتفاعها أربعة أقدام ومبنية من الطين الممزوج بمع الطوب ومقتوحة من أعلاماً / وتعيش عائلة كاملة في هذه

الجمعور التي يبلغ قطرها أربعة أقدام ، ويدفع بؤس هؤلاء الناس المرء إلى السراجع تقرزاً والشمشزازاً ، وتصدق نفس الملاحظة على المباني المتداعية في المنطقة ، والتي بالرغم من أنها تبدو في الظاهرفي هيئة لا يأس بها ، إلا أنني بمجرد الدخول إليها أخذت برائحة منتنة وفوجئت بالقذارة الشنيعة السائدة بها ، كما أن . . . .

وتتواصل الصور التي يريد الكاتب أن يصفها لنا أو ينقل دلالاتها الخفية لنا ، وكأنه يريد أن يعكس حالة الفرنسيين المتحضرين في هذا المكان المتخلف في الإطار العام أن المنازل ضيقة وهي أقرب إلى الأكواخ منها إلى المنازل (لاحظ ارتباط هذا الوصف بوصف الهنود الحمر) .

وأن عائلات بكاملها تعيش في مثل هذا الكوخ أو الجحر، والآدميين كالكلاب!!

فضلاً عن الاستطراد في أكثر من موضع عن القذارة التي يتقزز المرء منها ، نحن بالطبع لا ننكر وجود مثل هذه الأكواخ والبائسين فيها ، بل لا ننكر أنها موجودة حتى يومنا هذا في عديد من مناطق مصر ، غير أن المهم لدى جومار ، أنه يركز على هذه النقاط أو المناطق ، ويتحدث عنها كثيراً ، ويدفع فنانيه ليعيدوا رسمها عبر رموز لها دلالة ما انتهى إليه الشرقى في نظر الغرب ، أو فلنقل ، هذا الكائن المتخلف البائس في مواجهة الغرب .

أليست هي الشوفونية .

أليست هي العنصرية المعاصرة.

والآدميين (كالكلاب) .

فإذا آثرنا أن ننقل هذه الصورة البشعة التي أثارها جومار ، لدينا - على الجانب الآخر - صور أخرى بعضها يغلو في هذا الواقع ، وبعضها الآخر يغلو - على المستوى الأخلاقي - في الواقع النفسي والاجتماعي والثقافي لهذا الشعب ، وكأنه يغلو في وصف تصور الفرنسي لنفسه ولماته في هذا الواقع .

وهو ما يدفعنا إلى أن نذكر القارئ الكريم من آن لآخر - وهو ما نعتذر عنه - لهذه الصورة التي يصنعها علماء الحملة وفنانوها في مضر لفرنسا وهو ما ينتقل بنا إلى صور أخرى .

إن جومار كان يدرك ، أو لا يدرك أن ما يفعله هو (وصف) لفرنسا . وفي ومن هنا ، فهو كان يعمد أحياناً إلى الوصف الشائن للمصريين ، وفي الوقت نفسه ، كان متنبهاً لهذا الواقع ، وذلك الوصف الذى سوف عليه إلى كاتبه ، وهو ما تصوره لنا مشاهد القاهرة الأخرى ، وخاصة حين يصل إلى المؤسسات الخيرية بها .

إنه بعد أن يعرض لشكل المبالغ الخصصة للأعمال الخيرية وكيفية تنظيمها ببراعة ودقة من المصريين يعترف في السطر التالي مباشرة قائلاً: وكانت لدينا في أوربا معلومات خاطئة عن مؤسسات الإحسان عند المشارقة وعر الإهمال للطلق لحكامهم فيما يخص الإعانات العامة،

ويسرف صاحب جومار هنا ، ليعترف أكثر ، أو بشكل أكثر إيلاماً أنه إذا كانت توجد في البلاد ملاجئ مثل هذه الملاجئ التي تعرفها المؤسسات الغربية ، فإنه كان في مصر وسوريا (ملاجئ للعميان من زمن بعيد)

وإذا كان بعض الملوك الفرنسيين أنشأوا هذه الملاجئ في فترات سابقة، فإن المصريين سبقوهم قبل هذا بوقت أطول، وعلى هذا النحو، يصف جومار (حالة) العالم الفرنسي الذي يقول (وهو هنا جومار) ما يلى:

و وحكذا فقد أعطى لنا المشارقة المثال الأولء

وما يقال عن الملاجئ يقال عن الظواهر والمظاهر الأخرى ، فهو في باب (الكتاتيب والأسبلة .) يقف مندهشاً أمام هذا الكم المروع من الأسبلة - وهي من أعمال الخير - ليقول في عجب :

ولا توجد مدينة أوربية تحوى هذا القدر من الأسبلة ، .

وهو ما ينتقل بنا إلى وصف اجتماعي آخر وأكثر دلالة .

\*\*4

إنه حين يصل إلى (الأديرة والكنائس يدهشه هذا الواقع الذي كان هو والأوربيون يجهلونه تماماً ، إنه - على العكس مما هو شائع في الغرب يجد حالة من الرحابة وعدم التعصب تدفعه لإبداء دهشته الشديدة فيما يرى ، ويسلمه إلى قدر من الإعجاب يحاول أن يسيطر فيه على زمام فكره وإعجابه .

ان دهشته تزيد ، وتتحدد في هذه العبارة :

وإننا سندهش من أن الدهماء الكثيرة الجهل والتى تعد متعصبة بدرجة كبيرة ، لا تسب اليهود أو المسيحيين الكاثوليك والأقباط والأرمن والسريان والروم . . إلخ ،

إن مصر بها ديانات كثيرة ، ومذاهب أكثر ، غير أن الحرية تسود في كل أنحاء الوادى ، وهو من آن لآخر ، كلما رصد لظاهرة لافتة لديه كحرية الكنائس يقول ، وكأنه يفاجأ :

# ووهذه أيضاً نقطة لدينا عنها في أوربا أفكار غير مطابقة للحقيقة ۽

ويلتفت لظواهر غريبة كل الغرابة لدى المفهوم الغربي عما يحدث في مصر ، وهذه الظاهرة نلخصها في عبارته التي يسهب فيها حول الحي اليهودي ومعابده وسكانه ، يقول حين يصل إلى فصل الحارات ومن الأشياء الجديرة بالملاحظة أنه في وسط هذا التجمع اليهودي الكيم يوجد مسجد،

وكان المجتمع المصرى في بداية القرن التاسع عشر لا يعرف أجناساً أو أدياناً أخرى ، وهو تعبير يمكن أن ينعكس على الفهم الغربي لنا أكثر من كونه وصفاً يعكس الواقع المصرى ، وهو ما ينتقل بنا إلى ظاهرة أخرى . وهذه الظاهرة ترتبط بالحضارة والعلم أكشر من أى شيء آخر ، كان الغربيون يتحدثون في ذلك الوقت ، وحتى الآن عن عكس هذا الواقع المزدهر لدينا ، بل الغريب أننا أمام من لا يزال يتحدث حتى الآن عن الواقع الحضارى المزرى التي جاءت الحملة الفرنسية (من أوربا) لتجدنا فيه .

والكثير من الكتاب ، من المثقفين (وهو أمر يدعو للألم) مازال يرانا متخلفين ، خاصة ، حين يتعلق الأمر بهذه الفترة التي جاءت فيها الحملة الفرنسية إلى بلادنا وبعيداً عن ذكر أسماء كثيرة ، فقد أشرنا إلى كثير منها من قبل ، فسوف نتوقف عند هذا الوصف الذي يكتبه أوربي فرنسي . . عاش مصر في هذه الفترة التي تتحدد بنهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لنر إلى أي مدى :

أولا - يخطئ مشقفونا كشيراً في الحكم على الواقع الفكرى والحضاري لنا حينئذ .

ثانياً - يمضى في هذا السبيل عدد من الغربيين ثمن تخدم هذه الأفكار أهدافهم السيئة

فلنتمهل أكثر عند هذا الجانب.

من الملاحظ أن كثيراً مما يأتى به علماء الحملة إنما يعبر عما يريدون 
وهو استنساخ أشرنا إليه فيما سبق – وهو ما يدفعنا إلى رؤية الغرب 
لنفسه فى مرآة هذه المغامرة الفاشلة إن جومار حين يتمهل عند سكان 
القاهرة – على سبيل المثال – يتحدث كثيراً عن الصورة الصافية التى 
يجدها فى كثير من مناطق العلوم ولدى المتعلمين ، بل يشير بإعجاب 
إلى ظاهرة أثناء إشارته إلى وجود عدد كبيس من السود والزنوج 
والحبشيين والنوبيين فى مصر ، والذين يعملون فى أعمال وضيعة إلى 
حد ما لطبيعة هذه الفترة ، وهذه الظاهرة تتمثل فى أن الكثير من هؤلاء 
من يعملون فى المنازل كخدم – على سبيل المثال – إنما يعاملون معاملة 
من يعملون فى المنازل كخدم – على سبيل المثال – إنما يعاملون معاملة

طيبة ، وكان هذا شيء شاذ في هذه البلاد الشرقية ومصر يوجه خاص ، وهو بعد أن يشير إلى ذلك يقتضب التفسير حين يردف ذلك بقوله : ووترجع ممالة معلملة السبافة لعبيدهم *إلى أسباب سيكون من قبيل* ا**لإطالة استعراضها هناء** 

وهو يتوقف عند ملاحظة تؤكدها الحقيقة والتكوين المصرى بدوائره المحضارية منذ الزمن البعيد، وهى أن المصريين أقرب إلى الأوربيين من سكان أفريقيا في ألجنوب من الحبش – على سبيل المشال – وكيلاً تتماوج ملامح الصورة التي ينقلها جومار، فسوف ننقل نحن – بدورنا – عبارته هو بالنص، يقول:

وإذا كان الأحباض قابلين للتحول إلى حضارتنا ووهو أسر / لا مجال للشك فيه منطقياً ، فإن سبيلهم إلى ذلك هو الإقامة بعض الوقت بحصر حيث يجلون عادات وأفكاراً ليست مختلفة تماماً عن عادتهم وأفكارهم ، فسإن ذلك ، إذا صع القسول ، تحسول إلى نظام الأفكار الأوربية الختلفة إلى حدما عن طبيعة الأشياء في داخل الافريقية ،

وهذا النص ، وإن حمل - ضمنياً - نزعة عنصرية تجهد أن تخفى نفسها من الجنس الأصود في جنوب القارة ، فإنه لم يستطع أن يخفى حقيقة اقتراب المصريين من الغرب ، وقابليتهم للتوائم معهم والارتباط بهم أكثر من غيرهم .

وهو ما قال به العديد من الغربيين من طلائع الحملة الفرنسية في القرون السابقة سواء من الغربيين أو العرب ، وهو يعود إلى تكوين المصرى الذى لا يمكن أن يصف معه صاحبه - تاريخياً - بغير التقدم ويمتد الفهم الفكرى والحضارى للغرب عن الشرق إلى آفاق أخرى كثيرة ، وعلى سبيل الإشارة فقط ، نشير أيضاً إلى ترديد جومار لأكثر من مرة إلى أن النظام الذى كان يتصمع به الشعب المصرى في ذلك

الوقت هو الاعتدال ، والظواهر الصحية من طبيعة الهواء والماء والغذاء «التي تساعد على إطالة الحياة في هذا البلد ، الذي يمكننا أن ننظر إليه كلد صحى جداً بالرغم من الأمراض الفتاكة التي تبتليه باستمرار . . . وهو ما يستطرد فيه - وحوله كثيراً كتاب وصف مصر ، وبخاصة ، الجيزء الحديث ، حيث جاء العلماء ليحاينوا بأنفسهم هذا البلد الأسطوري وهذا الشعب المتخلف ، كما صور لهم ، فإذا بهم ، عبر ما يواجهونه - يكتشفون أن هذه البلاد كانت تتمتع بقدر كبير من الرقى يواجهونه - يكتشفون أن هذه البلاد كانت تتمتع بقدر كبير من الرقى ، لا نغلو فيها كيلا يظهر من يسرف - في الاتجاه الآخر ، من بيننا - في تخلفنا .

وبناء على ذلك ، يصبح من المحقق أن ما حاول أن يقوم به العلماء من الفرنسيين في مصر وأسموه بعد أن عادوا إلى بلادهم (وصف مصر) لا يعدو ، في الواقع الحقيقي أن يكون هو وصفا لهم ، لذواتهم (وصف فرنسا) إنه (وصف مصر) بأى حال ◆

### إسرائيل وبونابرت .. علاقة خطرة

ما هي العلاقة بين إسرائيل وبونابرت . ؟ سؤال خفي وعلاقات خطرة .

فلنرجئ الخفاء والخطر إلى نهاية هذه السطور.

ولنتمهل أكثر - عند المفاجأة التي نعيش فيها هذه الأيام .

杂婚母

المفاجأة جاءت أثناء مرور قرنين من الزمان على مجىء الحملة - فكما هى عادتنا دائماً نجد أنفسنا - فجأة ، أو هكذا نصور لأنفسنا - أننا أمام مرور نصف قرن على نكبة ١٩٤٨ . المناسبتان وقعتا فى شهر واحد - مايو - نصف قرن وفى خط متصل يبدأ من الحملة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر ليمر بهذه النكبة قرب منتصف القرن ليصل إلى نهاية القرن العشرين .

يمر علينا الآن نصف قرن على النكبة .

وبين نهاية القرن الثامن عشر ونهاية القرن العشرين – قرنين – نستعيد فيها نكبات أخرى سابقة ولاحقة كثيرة .

ولأن بداية النكبات في العصر الحديث تبدأ بالحملة الفرنسية

ولأن أعنف النكبات تمر بنكبة فلسطين (قبل أن نصل إلى زلزال الخليج) فإن الأمر يضعنا أمام سؤال هام ، هو :

ما هي طبيعة العلاقة بين بونابرت واليهود ؟

الإجابة تجيء بسرعة ، من طبيعة العلاقة بين المركزية الغربية واليهود وسرعان ما نعيد السؤال ثانية : هي العلاقة بين المركزية الغربية وإحدى مراكزها في اللحم العربي منا .. ؟

وسرعان ما نعيد - ونستعيد - السؤال بشكل أكثر دقة .

ما هى طبيعة العلاقة بين فرنسا - منذ عرفناها بنابليون - وإسرائيل منذ عرفناها باليهود ودورهم السياسي ؟

ويتوازى مع هذا كله ويمتزج به ما يردد الآن كثيراً من أن الحضارة الغربية هي الحضارة المرشحة للبقاء في العالم الآن (لنتذكر: مقولة هر تزل في مؤتمر بال حين يصف قوى اليهودية المنتظرة لتلعب هذا الدور الغربي في المنطقة بأنها «مركز للحضارة أمام البربرية» وترديد مقولة الغرب الحضارى والشرق البربرى في كل من النكبتين الحملة والنكبة وبينهما، وترديد مفاهيم جمديدة كنهاية التاريخ والحضارة في الغرب. إلخ).

ولأن الدور الفرنسي هو الذي يهمنا (في هذه المركزية) ، فسوف نتمهل عند بونابرت في علاقاته باليهود منذ فترة مبكرة .

ولنتمهل عند عدة أمثلة .

米米米

إن علاقة الغرب باحدى طلائعه اليهودية تلفت النظر لتوحيد التوجه والهدف ويبدو أن فرنسا - قبل الحملة الفرنسية - كانت أول من طرح بشكل جدى هذه العلاقة في فكرة توطين اليهود في فلسطين في الوقت الذي لعب فيه بونابرت دوراً غير مباشر لتأكيد هذا الدور ، وجعل إسرائيل بحق (تلميذة) بونابرت - كما سنرى .

لنتوقف عند الحكومة الفرنسية قبل أن نصل إلى نابليون .

فى هذا يقول أكثر من مصدر أن حكومة الإدارة الفرنسية أعدت عام ١٧٩٨ خطة سرية لإقامة «كومنولث يهودي في فلسطين» حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي «بما فيه فلسطين» وذلك مقابل تقديم الممولين اليهود قروضاً مالية للحكومة الفرنسية التي كانت تمر آنذاك في ضائقة اقتصادية خانقة ، والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية المتجهة صوب الشرق بقيادة بونابرت .

ولدينا أمثلة كثيرة للدور الذى لعبته الحكومة الفرنسية لصالح اليهود فى هذه الفترة انطلاقاً من الصراع الأوربى ، وطمعاً فى الحصول على مكاسب - خاصة - من بريطانيا التى كانت تحتل مراكز متقدمة ومناطق شاسعة فى الأراضى العثمانية .

米米米

وحين نصل إلى نابليون نلاحظ تردد عديد من الاتحاهات التى تمعن فى وصف علاقة بونابرت باليهود ، غير أن أكثرها بعداً عن الحقيقة هذه الوثيقة التى قيل أن نابليون كتبها أمام أسوار عكا لاستمالة اليهود بمنحهم وطن قومى

إن ما ينسب لنابليون - في تعبير بشير السباعي - من تنبيه لمشروع إنشاء الدولة اليهودية أو تأكيد الدور الفرنسي الذي يمكن أن تلعبه فرنسا لإحياء القومية اليهودية ، وهو خطأ وقع فيه الكثيرون (أهمهم عندنا الأستاذ هيكل في كتابه المفاوضات السرية ، وريجينا الشريف في كتابه عن الصهيونية ، وأمين عبد الله في كتابه عن مشاريع الاستيطان اليهودي . . إلخ) .

ومن البدهى أن موقف نابليون لم يكن متعمدا فى تبنيه الدولة اليهودية فى شكل نشر بيان / وثيقة موجهة إلى اليهود إبان فتحه عكا، وإنما أسهم فى هذا - جهات صهيونية سياسية عديدة - لتضخيم الفكرة التى كانت تروج لها لإنشاء وطن لليهود فى ذلك الوقت ، لا يعنى هذا أن نابليون لم يكن ضالعاً فى هذا الاتجاه ، وإنما الأرجح - كما

سنرى - أنه فعل ذلك بشكل غير مباشر ، فمن المؤكد أن كل ما كان يحرك بونابرت في فتوحاته في الغرب أو الشرق هو أنانية لبناء إمبراطورية ضخمة والإفادة من الأقليات في أي مكان يصل إليه ، وليس بالضرورة - كما قيل أنه تبلور فيما بعد في بيانه المزعوم أثناء حصاره عكا إلى «تثبيت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي كانوا يعيشون فيها .. ، لم يكن نابليون إذن وراء هذا البيان

لكنه كان - بالقطع - وراء الدور غير المباشر الذى قام به لصالح اليهود ، وهذا الدور يمكن أن يكون الريادة فيما قامت به الصهيونية السياسية .

وهو ما سنراه بشكل أكثر وعياً باستعادة صورة بونابرت وظلاله طيلة هذه الفترة .

#### \*\*\*

فمن المصادفات الحميدة أنه جاءنى – أثناء كتابة هذه السطور -رسالة بليغة من د . ليلى عنان أستاذة الحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة تؤكد على هذا جاء فيها :

.. إن بونابرت هو أول من مهد لإسرائيل طريق استعمار فلسطين ، مهد لليهود الطريق بتخريب سواحل فلسطين وطرد سكانها ، كما نقراً في كتباب دهنرى لورانس، عن الحسفة الفرنسية في مصر ، فعندما ، أوقف الجزار باشا زحف الجيش الفرنسي أمام عكا ، وعاد بونابرت مهزوماً إلى مصر ، أمر بتخريب السهول الساحلية وتطبيق مسياسة الأرض المحروقة ، مما دفع فلسطين تلك الفترة إلى تركها واللجوء إلى الأراضى المرتضعة ، فجاء اليهود المهاجرين بعد ذلك يزاحمون أهل البلد في هذه الأرض المنخفضة ، التي كادت أن تخلو من السكان بسبب تخريب بونابرت لها ، ينهى لورانس وصفه لما

حدث بشوله : دمروو بونابرت على فلسطين كان له عواقب فـادحة لمستقبل هذا البلده .

الأمر إذن أخطر بكثير من الوثيقة المزيفة ، فبونابرت كما نقرأ لدى لورانس :

- إذا ما استقر في مصر أراد الزحف على سوريا حيث ينتظره الدروز والموارنة والعرب ومعهم الأكراد والأرمن ، والفرس والتركمان حتى يستولى على القسطنطينية إلى آخر الأحلام التي سيحطمها الجزار باشا بصموده في عكا .

يعود صوت أستاذة الحضارة الفرنسية لتؤكد أن إسرائيل هي (التلميذة) النجيبة لبونابرت ، كيف ؟ تواصل :

وكان نابليون أول من أبدع الحجة الأخلاقية لغزوه بلد مسالًا وتحويله إلى مستعمرة لنشر الحضارة الفربية في منطقة قالوا عنها أنها نائية ومتخلفة . فكان التعاطف الأوربي لهم ضد العرب ، ومن أهم أسباب مساعدة الغرب لهم ، ولذا أصبحت إسرائيل مستعمرة تلجأ إلى هذه الحجة الواهية التي ابتدعها بونابرت لتبرير فتوحاته التوسعية ، نفس الكلام سنراه مكرواً في كتاب (المبموريال) الشهير حيث كان نابليون المنفي يطلق تهويجاته في آخر حياته . نلاحظ أن أسماء هذه الشعوب كما كان يقول عنها بونابرت ، لا تحتوى على شعب اسمه اليهود ، لسبب بسيط ، إن عدد هؤلاء اليهود ، في ذلك الزمان والمكان ، لم يكن ليكفي ذكرهم بالمرة ، فلا يستطيع بونابرت أن يعد أناساً لا ذكر لهم ولا وجود ، بإنشاء وطن لهم، ولكن تخريب لفسطين فتح لهم أرضاً لما استطاعوا الاستيلاء عليها دون فعلته الشنعاء تلك ه .

وتصل د . ليلي إلى منهج التصليل الإعلامي لإسرائيل كسما

استفادت به من نابليون ممثلاً في انشاء الدواوين المحلية ، فهذه الدواوين التي تكرم بإنشائها في مصر هي التي تبتدعها إسرائيل باسم «الحكم المحلي» في فلسطين ، كيف ؟ تذكر أستاذة الحضارة الفرنسية خطابات كليبر التي نشرها لورانس أيضاً ، فتضيف :

(هناك البنود التفصيلية لهذه الدواوين ، لا يتحركون إلا بأوامر الضابط الفرنسى ، والاسم وحكم ذاتى » ! فالاسم منضلل ، حكم محلى وشرطة وطنية ، والحقيقة أن هذه الدواوين بصراحة لا هدف لها إلا حماية المستعمر وبأمره ، فهى أولاً وأخيراً ، مسئولة عن النظام والأمن . . هذا النظام وذلك الأمن لا يعنى إلا كسبت الشورات ومنع المتصردين من إضرار الفرنسيين . . كما أن الشرطة الفلسطينية تعتبر المسئولة الأول عن سلامة المستوطنين اليهود، وعليها أن تمافظ، قبل كل شيء على النظام . . أي نظام . . )

تنتهى رسالة أستاذة الحضارة الفرنسية ولا تنتهى تفاعلاتها في هذه الفترة .

经条款

إن ظل نابليون لم يبرح محاولات فرنسا الكثيرة لاستكمال الهيمنة الغربية عبر إسرائيل هكذا بصراحة ودون مواربة ، ودون البحث عن الآفاق المشتركة أو العوامل الحضارية التي يصدعون أدمغتنا بها ليلاً ونهاراً .

لقد شهد القرن التاسع عشر تصاعد الصراع بين الدول الغربية للإفادة من أملاك الدولة العثمانية ، وبوجه خاص فلسطين ويسجل منتصف هذا القرن أو قبله بقليل توالى المركزية الغربية لكسب نفوذ لها فى فلسطين فشهدت الأربعينات من القرن الماضى افتتاح قنصليات غربية كثيرة كان من بينها القنصلية الفرنسية وإن كان الدور البريطانى أكثر تأثيراً .

وهذه هي الفترة التي رددت فيها المصادر أن نابليون الثالث يعلن عن نواياه الاستعمارية لاحتلال منطقة الشرق العربي (وخاصة فلسطين) ويبدى اهتمامه بتوطين اليهود في فلسطين (وهو اتجاه تردد لدى الشخصيات المحيطة بالإمبراطور الفرنسي) ، ويرى د . محمود منسي (\*) أنه ظهرت في فرنسا في ذلك الوقت اتجاهات فردية لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين «أشبيع أن الإمبراطورة أوجيني شملت برعايتها لجنة تكونت في باريس من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين اليهودية إلى فلسطين الهجرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين الهجرة الهجرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين الهجرة الهجرة الهجرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين الهجرة الهجر

وقد ظلت هذه الأصوات تعمل في هذا الاتجاه، أوجيني زوجة نابليون الشالث، ولاهران سكرتيره الخاص وغيرهما حتى جاءت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا ١٨٧٠ مما جعل فرنسا تبتعد عن هذا الاتجاه لأسباب كثيرة . باختصار ، اختفى الدور الفرنسي المؤيد للصهيونية السياسية إلى بداية القرن العشرين حيث ارتبط مصير فرنسا بالعطف على قضية الصهيونية «التي يرتبط نجاحها بنجاح الحلفاء» ، غير أن هذا الموقف تغير رويداً وي الأربعينات ، وعلى مراحل ، حتى عرفناه بشكل أكشر سفوراً في أزمة الخليج ، ٩ / ٩١ ومازلنا نراه حتى الآن عبر علاقات خفية وخطرة نحتفى لها ونحتفل بها فلنستعد بعضاً من زخمها الغريب قليلاً .

\*\*\*

وعبر مناورات كثيرة ، ويلاحظ البعض أن الحرب العالمية الثانية كان لها أثرها في خلق شعور مُوال للصهيونية ، ثم جاء قيام دولة إسرائيل في عام 198۸ ، لكي يزيد مُن هذا الشعور إلى حد ما ، بيد أن هذا الدور تصاعد أكثر بداية من الخمسينات ووصل إلى أقصاه - كما قلنا -

<sup>(\*)</sup> محمود حسن صالح منسى ، قرنسا وإسرائيل ، يدون ، ١٩٩٤ . • • •

في حرب الخليج ٩٠ / ١٩٩١ .

لقد ظهر الدور الفرنسى البشع فى ١٩٤٨ فقام بتسليح اليهود ودعم الترسانة الحربية خاصة فى الدور الذى كشفت عنه الوثائق أخيراً فى عدوان ٥٦ ، إذ منحت فرنسا (جى موليه) لإسرائيل الطائرات الحربية ، وأسهمت فى إنشاء وتطوير المفاعل النووى ، وظهرت ثمار هذا التعاون فى حرب ١٩٦٧ وإن اتخذ ديجول قراره المتأخر بعدم التعاون مع إسرائيل على أثر اكتشافه بدأها بالحرب .

هذه أحداث تكاد تكون ثابتة فى الذاكرة الوطنية للشعب العربى ، الدور الفرنسى إلى جانب إسرائيل ، وهو دور ينتسمى إلى المركزية الغربية سواء تسمّت فى نهاية الحرب القرن الثامن عشر (بالحملة الفرنسية) ، أو التكريس الفعلى لدولة صهيونية سياسية أو عبر احتلال وويلات شعب الجزائر .. إلخ مما يشير فى نهاية السياق إلى هذا الدور المركزى الفرنسى الذى يستبدله الآن بالدور المركزى الأمريكى لظروف العالم الجديد عقب سقوط الحرب الباردة وتولى الولايات المتحدة لقيادة التنظيم العالمي الجديد الذي عرف فى نهاية القرن العشرين (بالعولمة) .

安米米

وما يقال من تعاون قصة الدولة الفرانكفونية (فرنسا) مع قصة الدول العربية (مصر) الآن ليس غير وهم لم يقصد به - إذا أحسنا النية - غير استبدال التاريخ باتفاقات ثقافية بريئة في الظاهر ، في حين أن مثقفين يراوغون فيها من الوجه الحقيقي البشع للغرب الفرنسي بمركزيته الكامنة آثر صعود المركزية الأمريكية ◆

# الفن في خدمة الإمبراطور

حتى مجىء بونابرت إلى مصر وعودته منها إلى فرنسا ، كان الميثولوجى اليونانى هو النموذج السائد فى الفن ، وهو مع مقته لهذا المذهب كان لا يبدى - منذ البداية - إعراضه عنه ، بل كان القائد الشاب يبدو راعياً للفن ، كما كان - فى مصر قبل ذلك - يبدو مهتماً أشد الاهتمام بالإعلام ومخاطبته المصريين وهو ما يلقى فى طاحونة الأسطورة النابليونية وهو فى الوقت نفسه حاول التقليل من الهزائم التى أحيقت به سواء فى مصر أو بعد أن عاد إلى فرنسا على أثر التنديد بالجازر التى قام بها فى الشرق .

لنترك الإعلام الآن ولنتمهل أكثر عند الفن .

كان اهتمامه بالفن ينطلق فى الأساس الأول إلى تأليه صورته الذاتية واختراع أسطورته وفى الوقت نفسه لإعادة صنع الإمسراطورية الفرنسية التى هى - لدى فنانيه - أكثر أهمية من الحديث المستمر عن إمبراطورية أخرى والتاريخ يحفظ لنا مقولة فنانه الأثير إليه هو ماجرو ، الذى كان مفتوناً بشرق الإمبراطورية رغم أنه لم يذهب إليه ، حين قال فى رسالة إلى والدته :

وليسمسود الآخرون بطولة الإسكندر المقسدونى ، أمسا أنا فسأطمسح إلى تصوير إسكندر العصسر الحديث بونابرت ، وتلك الملابس المملوكية الرائعة ، وتلك الخيول العربية الرشيقة » .

وجاء في كتاب (الحملة الفرنسية) نقلاً عن تولار ، غلو عدد كبير من القساوسة في مقارنته بالرب . لقد ذهب البعض إلى أن نابليون عمثل الرب على الأرض ، وقال إنه واثق أن الرب يأسف أنه قد سبق أن أرسل السيد المسبح لأنه يعرف أن نابليون كان أجدر بأن يكون ابنه .

بينما قال آخر:

«إنه لشرف عظيم للرب أن عبقرية خارقة (مثل عبقرية نابليون) تسبح له».

وهو ما يذكرنا باحتفاء أحد جنرالاته حين استقبله «كقنصل أول» فقال في وضوح شديد :

وخلق الرب بونابرت ثم استراحه.

وما قاله ماجرو قاله عدد كبير من فنانى عصر الإمبراطورية ومؤرخو الفن فى عصره حتى وقتنا الراهن دون خلاف فى تأكيد أسطورة نابليون الذى كان يحرص الإمبراطور أكبر الحرص على تأكيدها ، سمعنا هذا من تولارد وجان تولارو هيريو كما عرفنا هذا وقرأناه عند بياتريس كاسبريان وماكسيمليان روبل وردده بشكل ما لدى شاتوبريان . . وغيرهم كثيرين

بيد أن قائمة الفنانين الذين لعبوا دوراً أيديولوجيا أكثر من الدور الميشولوجى أكشر مما يمكن رصده فى فصل كهذا ، كما استمر هذا التصور الأيديولوجى لينتقل من الرحالة والفنانين إلى الأدباء والمؤرخين (وكتاب الحملة الفرنسية للدكتورة ليلى عنان زاخر بهذه الأمثلة).

ولأن اختراع أسطورة الإمبراطور على حساب المنطق والتاريخ والخلق الفنى هو ما يهمنا فى المقام الأول ، فسوف نكتفى بالتوقف عند الفن لنرى إلى أى حد قام الفن بدوره المسرف فى الغلو ، المتطرف فى صنع الأسطورة تحت رعاية بونابرت الزمنية فى عصره أو - حتى - بعد رحيله . ورغم أن هذه الأسطورة تعرض لها بالرفض والنقض عدد من المؤرخين الجدد ، فإن تأثير الأسطورة في تضخيمه صورة الإمبراطورية أكبر مما تتجاهل الإمبراطور فلنتوقف عند هذه الملابسات قبل أن نحدد الموقف أكثر عبر بعض اللوحات .

米米米

إن دراسة التطور الفنى فى نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر يرينا كيف استطاع نابليون اختراق الفن وممثليه انطلاقاً من غلبة السياسى على الفنى وسيطرته عليه .

وفى دراسة هامة عن الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى (د. زينة بيطار عالم المعرفة ٧٥٧ ، الكويت) يتأكد لنا أن الظروف السياسية التى شاءت أن تحول هزيمة بونابرت وفشله فى الشرق إلى «انتصار» سياسى متماثلة تماماً مع الظروف الفنية التى جعلت منه إمسراطوراً ذا سلطة مطلقة فى التشريع الفنى (كما فى التشريع السياسى) مما أدى إلى تصوير حملته الشرقية على أنها أسطورة «انتصار» و«فخار» فى الفن التشكيلي الفرنسى.

وتفصيل هذا أنه حين استلم بونابرت الحكم في فرنسا كانت الحركة الفنية تعانى من أزمة حادة مردها خيبة الأمل في تحقيق الأفكار الجمالية والفنية التي نادت بها الثورة البرجوازية الفرنسية .

هذه الشورة التى انطلقت من ضرورة تحرير الفن والفنانين من قيود احتكار السلطة الرئيسية والملكية والإقطاعية وتطوير الذوق الفنى لدى مختلف طبقات الشعب .. كما نادت بديموقراطية الإبداع ، وأخلاقية الفن ، وفى جعل الفن عماداً للدولة وقوة أساسية من قواها الإبداعية ، وضرورة رعاية المؤسسة الحاكمة للفن لا كأداة تزيينية أو أداة للمتعة وإنما رعاية الفن الرسمية يجب أن تتم لازدهاره ولتأثير الفن السياسي

والاجتماعي مما يحتم على الدولة مراقبته .. إلى آخر الأفكار التي دعت إليها الحركة التنويرية في فرنسا .

فعلى العكس من هذا كله راح بونابرت يظهر نفسه راعياً للفن وللمواهب الفنية البارزة ومحاولا تطبيق أفكار عصر التنوير التي هي أفكار الثورة الفرنسية أيضاً على الرغم من أن رسائله ومذكراته وآراء معاصرية كانت تؤكد أن حاكم فرنسا الشاب كان عقت المذهب السائد الكلاسيكم خاصة . وعبوراً فوق تيارات فكرية كثيرة فقد تحول الفن ليقترب من الأسلوب الوطني أكثر من الأسلوب الكلاسيكي وأن يكون الفنان مؤرخاً لفن فرنسا ليس لمجد الأقدمين ، وقد اهتبل الإمبراطور هذا التيار الجديد ، فقد تيني ممثل هذا التيار وهو آموري ديوفال كبير نقاد الفن الفرنسي آنذاك فقام نابليون بتعيينه سكرتيرا عاما لوزارة التعليم الشعب فضلاً عن تبنيه لعدد كبير من الفنانين الذين كانوا يقتفون من اتجاه دیوفال من أمثال جیزو و بونس و دی بویسیه و سان جیرمان رامیل وفابر وديبوميرييل وغيرهم من أعلام النقد ، النظرية الفنية الجديدة خاصة أولئك الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة ونفوذ كبير وحاسم في عهد بونابرت ، ويشير البعض هنا إلى أن نابليون رعى ممثلي هذا التيار وشجعهم كما أحاط نفسه بهم ، وبهذا يكون نابليون قد أمسك بالعصا الفنية المعاصرة من طرفيها ، وهو الذي برع في لعبة الموازانات السياسية والفنية ، ومن هنا ، فليس من قبيل المصادفة أن يزدهر «الموتيف» الشرقي المستوحي من حملة نابليون الشرقية في فن التصوير ، وفي النوع الاستشراقي منه بالذات .

ويعود ذلك إلى أن نابليون كشخصية تامة الاستعداد والقدرة في صنع الجد الذاتي والقومي في السياسة والثقافة الفرنسيين إبان حكمه ، استطاع «إعادة الأسد إلى عرينه» بعد فترة الفوضي والصراع السياسي التى شهدتها فرنسا وخاصة الحركة الفنية فيما بين عامى ١٧٨٩ - ١٧٩٩ ، فما كانت الثورة قدحققته من انجازات لتحرير الفن والفنان ، وديموقراطية التعبير ، احتواها بونابرت وجهازه الحاكم (سياساً وثقافياً) وأدخلها برضى فى قوالب وعلاقات وأساليب ديكتاتورية بحتة تخلت فى عملية «أدلجة» الفن والثقافة وربط الفنان (قدراً وإبداعاً) بعجلة الجهاز السياسى الحاكم .. وباختصار لم يعرف الفن الفرنسى شخصية حازمة كنابليون ركز على فن التصوير للدعاية لذاته ولسياسته لسبب هام وأساسى يتلخص فى قناعة الحاكم الشاب الطامح لبريق المجد بالنتائج السريعة لوظيفة الفن فى خدمة سياسته وأيديولوجيته والمنطلقة من مفهوم عملى بحت هو عجز فنى العمارة والنحت عن المواكبة السريعة للأحداث السياسية والتاريخية التى كانت تفرزها المرحلة .

وقد شهدت هذه الفترة عدة فنون أسهم فيها كبار الفنانين في عصر نابليون لتخلد حملته الشرقية وشارك فيها في فترة مبكرة فنانون معروفون وأشرف في المرحلة الأخيرة عليها نابليون وفيفان دينون كما صنعت بعض الميداليات التذكارية التي خلدت بونابرت في حملته على مصر وقتها (عجلة النصر التي تجرها الجمال) .

وعلى هذا ، زخرت هذه الفترة بهذه الفنون التى تؤكد ولع نابليون بالأعمال التى تصور المعارك التى خاضها بالطريقة التى يراها هو ، «فسمجرد ما كان يرى صورته تزين خلفيتها الأهرامات رمز الخلود والأبدية كان ينتابه إحساس وهمى بالانتصار»

لذلك نرى أنه في عهد نابليون - كما يشير البعض - قد حول فن التصوير إلى مرآة عاكسة للواقع السياسي والأيديولوجي الذي فرض عليه مفهوم «السياسة والفن من فوق» وربط الإبداع بعجلة السياسة أو بعجلة السياسية .

وعلى هذا سعى بونابرت الفرنسي ليحل محل الأبطال اليونانيين . الأكثر من هذا أن نابليون تدخل في شكل مباشر في طرق الرسم أو التشكيل الفني لهذه اللوحة أو تلك .

ونستطيع أن نجد في الصالون الذي افتتح عام ١٧٩٩ سلسلة لا متناهية من اللوحات المكرسة لتمجيد شخصية بونابرت وعائلته وحبروبه وقيادته وجنوده ، كيميا تكرر هذا في هذه الصيالونات التي شهدتها باريس في العقد الأول من القرن التاسع عشر بباريس .

ويقول التاريخ الفنى إن الإمبراطور كان يحدد بنفسه أسماء المعارك وموضوع اللوحة ويطلب من وزير داخليته ورئيس إدارة المتحف اختيار الفنانين بل ويشرف على تنفيذ الفكرة ثم يحدد هو طريقة عرضها والوقت المتاح لذلك ، وكثيراً ما كان يرى وهو يفتتح المعارض الفنية الأكثر من هذا أنه كان معروفاً عنه أنه يغدق على فنانه المفضل جان جرو رعايته وحبه .

ولأن هذا الفنان استطاع طوال فـــرة حكم بونابرت أن يلبى كـل مـا يطلب منه بدقة ووفقاً للمعاييس الأيديولوجية والسياسيـة والفنية الإمبراطوريةه .

ر وسوف نكتفي بهذا القدر من سيطرة الإمبراطور على الخلق الفني ونتمهل عند أهم اللوحات التي رسمت في هذا الصدد .

\*\*\*

ولكثرة اللوحات والأمثلة الصارخة في هذا الصدد ، سوف نتمهل عند بعضها مما يرتبط بوجود بونابرت في مصر ، أو ما يرتبط بذلك ، مشيرين منذ البداية إلى عدة ملاحظات هامة :

**أولاً** : إنها جميعاً تلقى فى طاحونة الأسطورة ، وهو ما يرتبط بأسطورته هو ، وبسيطرة كاملة منه . ثانياً: إن اللوحات التي رسمت عن بونابرت في مصر كانت لفنانين لم يأتوا إلى مصر . ومع ذلك ، فإنهم أكثر ثما رسم عن مصر .

ثالثاً: إن اللوحات التي سنشير إليها سوف نرفقها في الملحق لتكون شاهد عيان على طبيعة هذه الفترة ودلالتها فلنتمهل عند بعض هذه الأمثلة.

إننا أمام لوحة «بونابرت يزور مرضى الطاعون في يافا» (نلاحظ أنها رسمت عام ١٨٠٤) أي بعد ان عاد بونابرت إلى فرنسا بفترة طويلة . وقد رسمت تحت إمرة نابليون نفسه وتحت عنايته وتوجيهاته ، وقد كانت تنصرف - في الأصل - إلى تأكيد أسطورته في الشرق ، خاصة ، أن هذه الفترة التي رسمت فيها كانت تشهد محاولات ضده لتشويه صورته للمجازر التي ارتكبها في الشام .

واللوحة في مجملها العام - وإن كانت تنفى وحشية الإمبراطور في الشرق - فإنها عَمْله كالمسيح في حركته مما يقرن بينه وبين المسيح (انظر كيف يشفى المسيح الأبرص ، إنجيل مرقص ، الإصحاح الأول ٤٠ - ٤٢) ، كما أن أهمية اللوحة تعود إلى أنها اعتبرت من رواد الفن (البيان الأول الاستشراقي) كما يذهب البعض (انظر على سبيل المثال BOEE MP. BARON AND NAPOLION PARIS 1946)

نحن أمام لوحة أخرى عن ثورة القاهرة في ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ (\*)
في هذه اللوحة بحد الفرنسيين المحاربين فيها شباب ووسامة وشجاعة
رزينة – وأنا هنا أستخدم ألفاظ د . ليلي – بينما الثوار المصريين من
الزنوج – هكذا – عرايا تماماً والشرر يتطاير من عيونهم، وكانهم
وحوش معتدون على الجند الفرنسيين المتحضرين في لبسهم وسماتهم
الرصينة .

 <sup>(\*)</sup> انظر ندوة د . ليلى عنان بقسم اللغة الفرنسية بآداب القاهرة بين ٣٣ –
 ٢٦ مارس ١٩٩٨) .

أما المملوك الأبيض الوجه ، فإن ملابسه فاخرة ، يسقط في غيبوبة ، يسنده أحد هؤلاء العبيد حتى لا يقع على الأرض .

وهى لوحة تظهر - على العكس مما هو معروف - بطولة الجيش الفرنسى فى وقت لا نجد أثراً للمقاومة المصرية التى أبلت بلاء حسناً فى ثورة القاهرة الأولى ، وهو ما يعترف به أكثر من فرنسى شهد هذه الثورة وشارك فيها ، وهو ما تأكده مراسلات عديد من الجنود لذويهم فى فرنسا . . ؟

لدينا لوحة أخرى بعنوان (بونابرت في الجامع الكبير) ويقصد به جامع الأزهر . وبونابرت ينزل - كسما نرى في اللوحة - من أعلى اللوحة ، وكأنه ينزل مع النور من السماء الزرقاء من خلفه، على جواده الأبيض ، ومن تحته درجات لم نعرفها في يوم ما في الأزهر .

وكأن بونابرت هنا ملاك يجلب النور إلى ظلمات المسجد .

وكأن المهزومين يسجدون له في ظلمات المسجد من تحته .

في حين نجد امرأة عارية - في الجامع ! - تتوسل إلى السماء .

والمنظر العام يرينا أن هناك من يحارب الصليبيين قبل الحملة بخمسة قرون !

في حين أن التاريخ يذكر لنا أن الفرنسيين الغازين هم الذين دخلوا الأزهر بجيادهم ، وأن بونابرت لم تطأ قدماه يوماً أي جامع .

إن اللوحة تبدو في شكل نوراني ، توحى بأن الحضارة الفرنسية التي جاءت مع نابليون هي التي تعمد إلى تأكيدها داخل الجامع القديم .

وكأن الرجل الأبيض يجىء هذه المرة ليحمل عبء هذه الحضارة من أجل البرابرة (وهذا اللفظ تكرر كثيراً في الكتابات الفرنسية المعاصرة للحملة).

نحن أمام اللوحة التالية التي تصور - في المنظور العام - (بونابرت

يمنح سيفاً لحاكم الإسكندرية العسكرى).

والصورة على ظلالها الموحية تشير إلى أكثر من دلالة فنحن أمام الفرنسيين الشامخين وهو ما يشير إلى انبهارهم - فضلاً عن الإذلال - بهذا الفارس الفرنسي المتحضر الذي يمنح هذا الكرم لرجل أدنى بكثير منه وبالتبعية - أدنى من حضارته كما أن التاريخ نصب مثل هذا الحاكم العسكري من داخل البلاد .

فضلاً عن أن التاريخ يذكر أيضاً ، أن نابليون لم يقدم يوماً على أن ينصب حاكماً عسكرياً (مصرياً) لمثل هذا المنصب .

وعلى العكس من ذلك ، فإن التاريخ يذكر أن نابليون حين استطاع القبض على محمد كريم المئول المدنى للإسكندرية ، وقد كان مصرياً ، حرص على أن يمارس العنف معه ، وحبسه ، وراح يعلن أنه لن يخرج من محبسه إلا بمبلغ ضخم ، حدده هو .

ولما رفض محمد كريم دفع المبلغ ، وحرض المصريين على ألا يدفعوا للغازى لم يتردد بونابرت عن التعامل معه بهمجية لا تعرفها هذه الحضارة - بالفعل - أمام المصريين . أضف إلى ذلك أن المدقق في هذه اللوحة - كما لاحظ عدد من نقاد الفن - يرى أن المشهد العام في كنيسة وليس في جامع ، كما أن الشهود ليسوا مسلمين أمام طغاة ، إنه تجسيد لخيالات جاء بها فنان لم يزر مصر في حياته وقد كان هدفه الأول هو تأكيد أسطورة الإمبراطور وألوهيته .

من أبلغ آيات الزيف هذه اللوحة التي يظهر فيها (بونابرت وهو يهدى وشاح الجمهورية ذا الألوان الشلائة لأحد بكوات مصر) - وهو اسم اللوحة - وحين نعود إلى أصل الحكاية نعلم - كما سبق أن أشرنا ، وهو ما جاء في (عجائب الآثار) للجبرتي - نعلم أنه حين حاول وضع هذا الوشاح وتعليقه بصدر الشيخ الشرقاوي ، فإن هذا الشيخ غضب

و (امتقع) لونه وألقى به أرضاً رافضاً هذه التبعية المهينة .

وحين أصر بونابرت أن يرتديه قدم الشيخ الشرقاوى استقالته على الفور وانضم إليه على الفور باقى المشايخ الذين كون منهم بونابرت (الديوان) فيما بعد .

وغنى عن الذكر أن فكرة الديوان فى حد ذاتها كانت محاولة السيطرة على هؤلاء المشايخ ، ومن ثم ، السيطرة من خلالهم على الجموع الشعبية غير أننا فى اللوحة نجد شيئاً آخر ، نجد نابليون يضع باعتزاز وشاح الثورة الفرنسية على صدر الشيخ ، فى حين الشيخ يبدى ارتياحا يبلغ درجة السيادة الكاملة فى حين لا يخفى عليه الإحساس بمشاعر (الجندى المهزوم)

إن الشيخ الشرقاوى (الذى يظهر بعظهر «البك») نجده فى اللوحة يقف بإذلال شديد وهو يتلقى هذه الهدية الشمينة التى تعنى الطواعية الكاملة والخضوع الكامل لبونابرت ممثل الثورة الفرنسية . وهو الزيف بعينه .

وببساطة - كما تزيف اللوحة - فإن الشيخ يعترف بجميل انحتل عليه وعلى مصر كلها ، إن العنصرية الفرنسية في الصورة هي التي تريد أن تقول أنها العنصر الرئيسي في هذا المشهد ، في حين ان قائد المهزومين المتخلفين هو الطرف الآخر .

العنصرية الغربية أبت إلا أن يصبح الفن حتى الفن في خدمة الإمبراطور ◆

### المقاومة .. وحضارة الغرب

قبل ٢٠٠ عام - ٢ يوليو ١٧٨٩ وطئت أقدام نابليون وجنوده شاطئ العجمى بالإسكندرية ومنذ هذا التاريخ عرفت شعوبنا العربية صوراً عديدة من المقاومة سواء أمام وحشية بونابرت في نهاية القرن الغشرين . وما بين النامن عشر أو عنجهية نتنياهو في نهاية القرن العشرين . وما بين الطاغيتين : بونابرت ونيتنياهو أعمل السونكي في الشعوب العربية العزلاء، وقبل أن نستطرد أكثر حول قيمة المقاومة ثمة ملاحظة بدهية نؤثر التمهل عندها لأهميتها .

وهذه الملاحظة تتحدد فى توصيف موقفنا من مناهضة الفرنسيس وهو موقف أسىء فهمه تماماً لا بفعل الوعى التاريخى الذى يجب أن يتحلى به المثقف المعاصر ، وإنما لانحراف فى هذا التفكير لدى عدد كبير من مؤيدى الحملة وهذه (الآفاق المشتركة) التى أعلن عنها كثيراً ، وهو انحراف ناتج عن سوء الفهم أو الجمود الذى اتصف به الكثير عمن تبوأوا مكاناً مرموقاً فى حياتنا الثقافية ، وأصبحوا يُحسبون علينا - لا لنا - بفعل الفترة الزمنية و«البروباجندا» التى استثمروها لفترة من الفترات ، كما ينضم إليهم العديد عمن يحسبون على السلطة الثقافية الرسمية أو عمن استطاعت الدعوات الخاصة استقطابهم إلى المعاهد أو المترحف الفرنسية . .

فلنتمهل قليلاً قبل أن نرى صور المقاومة ضد حد السيف .

### أصل الحكاية:

وبادئ ذى بدء فإن مفهوم المقاومة عندنا يختلف عن مفهومه عندهم وهو يتخذ أشكالاً كثيرة ويتسمى بمسميات أكثر وهو تتداخل فيه عوامل الحسابات الشخصية والمواقف المتجمدة والعنجهية الفكرية وربما (الخرف) الذى يصاب به عديد من كبار السن ، حتى ليقترب مما هو معروف (بالزهايم) حيث تؤكد خبرات علم النفس اليوم أن هذا الداء الذى يصاب به صاحبه يدفع به إلى نسيان الكثير ، أو الخلط بين الأمور أو استبدال الذاكرة المكتوبة بأخرى غير واضحة ... إلخ ولنتمهل عند مثال واحد له .

إن بعض هؤلاء يرون أنهم - فقط - المتحضرون أما سواهم فهم أصحاب العقول المتجمدة والأورق الصفراء(\*)

إنهم يلتفون حولهم فيرون أن مخالفيهم ينتمون إلى التيار الإسلامي، وهو تيار ينظر كما يرددون بالحرف الواحد: «.. إلى عملية الاحتكاك الثقافي مع فرنسا نتيجة للحملة الفرنسية على أنها كارثة الكوارث / ذلك لأن أقصى أماني هذا التيار هو إغلاق كل النوافذ والأبواب في المجتمع الذي يسعى إلى السيطرة عليه .. إلخ».

وعلى هذا أصبح من يقاوم ذكرى الغزو أو يتحدث عن جدوى الاحتفالية أو المجازر التي ارتكبت ضد أهالينا من أصحاب هذا التيار.

(وهى كلها صور من العنف تكررت كشيراً منذ عرف الغرب الشرق..) خطأ لا يغتفر قط، ومن الطبيعي أن يروا في غرور مطلق (لا أعرف من أين استمدوه ؟) إن التيار المقاوم لعنف الغرب وعنصريته وعنجهيته ليس غير خطأ نقع فيه، ومن ثم يصبح هذا التياريرى في بداية اتصال المجتمع المصرى بالعلم والديمقراطية والاستنارة مصيبة

<sup>(\*)</sup> انظر على سبيل المثال المصور ٢٩ مايو ١٩٩٨)

تستحق إقامة مأتم لا إجراء احتفالات.

ومعنى هذا أن أصحاب هذا التيار المتفلسف ضد المقاومة لا يرى إلا نفسه هو صاحب التفتح الفكرى والتفاعل الثقافي . . إلخ ، ويرون غيرهم من المتخلفين الذين يرون - والحال هكذا في النشرات الصفراء زاد الآخرين .

ويهذا راحوا يصنفون أنفسهم بالمتحررين المتأثرين بالحضارة ، ويصفون غيرهم بالمتخلفين المتأثرين بتيار الإسلام السياسي الذي يرفض التحاور مع الحضارة التي تقبع في الشمال ..

إن هؤلاء ينسبون أننا لا ننتمى بالضرورة إلى الإسلام السياسى بالمعنى الذين يصورونه ، وإنما إلى هذا التيار الإسلامى المستنير (الذى أصبح جزءاً من هويتنا الحضارية) والذى يعى الفارق واضحاً بين الحضارة والاستعمار ونعى جيدا أن الغرب ليس وجهاً لنسيج حضارى واحد متجانس، وإنما هو متعدد الألوان ، أكثر الخيوط لفتاً للنظر فيه هي التي تصنع نسيج الهيمنة والعولمة التي نعيش فيها الآن .

إنهم ينسبون أن الحضارة الغربية في نهاية القرن العشبرين هي الحضارة التي يريد أصحابها أن يصورها لنا على أنها الحضارة الباقية (ونظرة واحدة إلى فلاسفتهم وموظفي وزارت الخابرات في مؤسساتهم تؤكد هذا: انظر على سبيل المشال صسمويل هننتنجون وصراع الحضارات، وفرنسيس فوكوياما في «نهاية التاريخ» وتوفلر في «الموجة النائنة» و .....

نحن ننتمى إلى الإسلام المستنير الذى يرفض من الآخر الغربى سواء كان فرنسياً أو إنجليزياً أو أمريكياً - فى عصر العولمة - هذا الغرب المتسلط الذى لا يرى فى الحضارة الغربية غير الحضارة الوحيدة فى هذا الكون ، وفى الاستعمار الشكل الوحيد لتأكيد العناصر الحضارية ضد

البربر أو الهنود الحمر أو السمر كما يريدون أن يرونا. فنحن في وضوح لسنا ضد الحضارة ولكن ضد الاستعمار، وبشكل أدق، نحن ضد الحضارة حين لا تخلو من بواعث الاستعمار، وضد الاستعمار حين يتوسل بالحضارة.

نحن فى الشرق - بجميع طوائفنا لسنا ضد الحضارة الغربية أو التكنولوجيا أو الآلات الذكية أو الإلكترونيات المتقدمة ، لأن هذا كله يمثل - ببساطة أكثر القوة ، والمعرفة تمثل ببساطة أكثر القوة ، والقوة تمثل ببساطة أكثر وأكثر ما يميز أدياننا التي تدعو إلى ما يصون الكرامة ويحفظ الكبرياء .

نعتذر عن الإطالة ونعود إلى المقاومة عبر عدة أمثلة :

ولأن المقاومة تتخذ صورها أمام عشرات الأمثلة العنيفة ضدنا ، فسوف نكتفى الآن بعدة أمثلة وقد نواصل - في موضع آخر - أمثلة أخرى .

تعددت صور المقاومة التى نجدها فى عديد من المصادر والمراجع الهامة ، سواء فى عصر بونابرت أو فى عصرنا الآن ، ومن ذلك ، نستطيع أن نشير إلى مراجعة كتابى الجبرتى المهمّن فى هذا (عجائب الآثار) و(مظهر التقديس) رغم إعجابه أحياناً برجال الحملة – وما خلفه نقولا الترك (ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار العربية والشامية) رغم عدم حيدته الكاملة .. وإلى عديد من الكتب فى عصرنا ربما كان فى مقدمتها كتب عبد الرحمن الرافعى (الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية) ود . ليلى عنان (الجزء الأول من كتاب تاريخ الحركة وكتاب محمود الشرقاوى (الجبرتى وكفاح الشعب) ولا نستطيع أن نغفل كتاب لويس عوض حول تاريخ الفكر المصرى) وكتاب د . زينب عبد العزيز ( . . حملة المنافقين الفرنسين) . . وغيرهم .

هذه صور من الكتب التى سجلت مواقف الشعب المصرى المقاوم ورصدته بحيدة كانت المقاومة الشعبية لا تهدأ أبداً إزاء الوحشية التى تعامل بها المختل مع أهالينا العزل ، وسوف نضرب أمثلة ، أحدها حدث بمدينة مصرية ، استخدم فيها الفرنسيس العنف بأعلى صوره ، فأحد ضباط شهود العيان من هؤلاء يقول مرة :

حين دحر المدافعون على جميع الجوانب واحتموا بإلههم ورسولهم فماذوا الجوامع ، ذبح الرجال والنساء والكبار والصغار ، وحتى الأطفال عن بكرة أبيهم ، وبعد نحو أربع ساعات هدأت ثورة جنو دنا في النهاية » .

وفى مرة أخرى يقول أحد الضباط الفرنسيين أيضاً مصوراً المشهد كله حين تصبح مقاومة المواطن الأعزل في مواجهة السونكي . نقرأ من خطاب ضابط آخر هذه العبارة :

«ظننا أن المدينة استسلمت وأشد ما أدهشنا أن ينهال علينا رصاص البنادق ونحن ثمر أمام أحد المساجد . . فأمرنا قائد اتفق وجوده هناك أن نقتحم باب المسجد ولا نبقى على أحد فيه وهكذا هلك الرجال والنساء والأطفال بحد السونكي» .

هل لاحظنا تكرار اقتحام الأبواب الموصدة ؟

وهل لاحظنا قبتل الرجال العزل والنسباء بل - أيضاً - الأطفال الأدياء ؟

وهل لاحظنا أن القتال استمر - من جانب المتحضر الغربي - بحد السونكي ؟

بل إن الأمر تطور أكشر من السونكى إلى السيف - ونلاحظ أن السلاح النارى فى الغرب كانت له الأولية الآن - وتفصيل هذا فى تلك العبارة التى يقول فيها آخر من أنه حين رفضت قرية إمداد الفرنسيين

بالبضائع التي طلبوها فماذا حدث ، نقرأ فيها :

«فضرب أهلها بحد السيف».

بل يضيف الجندى فرانسوا إلى أهله في أحد الرسائل هذه العبارة السعة :

ووأحرقت بالنار وذبع وأحرق ٩٠٠ رجل وامرأة وطفل ليكونوا عبرة لشعب همجي نصف متوحش.

وهو ما يدعونا إلى السؤال:

من هو الهمجي المتوحش حقاً ؟

نترك السؤال إلى مثال آخر ، يستخدم فيه نفس الأداة السونكى . . تتردد الأمثلة الكثيرة في فترات محاولة السيطرة على قرى مصر ومدنها ، فنعرف - على سبيل الأمثلة التي لا تنتهى - أن الفرنسيس قتلوا من المقاومين المصريين في مدينة واحدة كدمنهور نحو ، ٢٠ كما يقول الجنود ، قتلاً أو حرقاً » .

ويضيف سكرتير نابليون مرة أخرى أنه كان يساق المسجونون إلى القلعة :

و وكنت أتولى في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثني عشر سجيناً كل ليلة ، وكانت جثث القتلي توضع في زكاتب وتغرق في النيل ، واستمر ذلك ليال عديدة ومنهم كثير من النساء بمن نفذ فين أحكام الإعدام الليلة ، .

وتستطرد روايات الجنود إلى أهاليهم فنقرأ قتل وحرق واغتيال المنات كل ليلة . ولأن المقاومة مستمر ، المنات كل ليلة . ولأن المقاومة مستمر ، ووراءه السيف والحرق والغرق والاغتصاب وكل طرق القتل غيلة التى عرفتها البشرية بأوامر القائد بونابرت شخصياً أو نوابه ، ويعلم دارس التاريخ ، كيف خدع بونابرت الإمبراطور الفنان - كما عرفنا - ليرسم

لوحة يؤكد فيها رحمته بالأسرى ، واقترابه منهم حين فتك بهم مرض الطاعون ، فالتاريخ يقول – وهذا مثال آخر لا أخير نقراه في أحد رسائل الجندى بيروس إلى أمه ، وفيها يؤكد ، كيف اغتيل الجند العربى بعد أن استسلم وبعد أن وعد ، ٣٠٠٠ بالعفو التام ، فألقوا سلاحهم وسيقوا حين اقتيد عدد هائل منهم إلى الشاطئ وقتلوا رمياً بالرصاص وكان قد تم تجويعهم قبل ذلك ، متشبثين بأمل الحياة ولكن سرعان ما خاب رجاؤهم ويكمل المواطن الفرنسي – بالحرف الواحد :

وصدرت التعليمات للجنود بألا يسرفوا بالذخيرة فبلغت بهم
 الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن بالسونكيء

السونكى مرة أخرى نقرأه في أوراق الحملة ، وفي موضع السونكى نقرأ هذه العبارة القاسية لنفس المواطن :

دوقد وجدنا بين الضحايا اطفالاً كثيرين تشبثوا وهم يموتون بآبائهم، هذه بعض صور المقاومة ، والصور الدامية أكثر للسونكى ضدها ، كسيف كان يواجه من يجرؤ على أن يدافع عن نفسسه ، والصورتان واضحتان : هذا بطل مصرى شرقى والآخر جندى فرنسى غربى ، إنها الحضارة الغربية المتوحشة فى نهاية القرن النامن عشر وهى هى الحضارة التي تتغير مسمياتها بين صهيونى أو صربى أو أمريكى فى نهاية القرن العشوين .

إنهم جنود الحضارة الغربية على أية حال! إنها حضارة الغرب!! ◆

# آفاق غير مشتركة .. وكلمة أخيرة

إلى السادة الذين مازالوا يتحدثون عن الآفاق المشتركة .. نوجه إليهم هذه الصورة الأخيرة

إلى السادة الذين مازالوا يتحدثوا عن الآفاق المشتركة بحرارة شديدة.

ناسين أو متناسين (سيان) مجازر الحملة وخسائرنا المادية والمعنوية. إلى السادة الذين يتحدثون عن حضارة الغرب .

وكاننا خارجون عن إطاره حين نطالب بإعادة النظر فيما يطالبوننا به من إعادة الثقة الكاملة في العدو التباريخي مُشلاً في هذا الغزو ، الذي مازال يردد في فرنسا نفسها حتى كتابة هذه السطور الغزو CONQUE

إلى السادة الذين مازالوا يتحدثون عن الإسلاميين وأوراقهم الصفراء وانغلاقهم الفكرى كلما تحدثنا عن حضارة السونكى والخازوق وجنود الفرنسيس الذين حولوا المدن المصرية في نهاية القرن الثامن عشر إلى (الأحجار السوداء) بتعبير أحد هؤلاء كما جاء في كثير من مصادر هذه الفيرة.

إلى هؤلاء وغيرهم ، نقدم لهم صورة من هذه الآفاق الذين يريدوننا بعنف ألا نلتفت إليها الآن في حين أنهم يلحون في العودة إليها كلما عدنا إلى عصر الفرنسيس في مصر نهاية القرن الثامن عشر .

وكى لا نطيل حول هذه الآفاق الذين يدعونا إليها الفرنسيس الغربيون أو الفرنسيون العرب ، سوف نشير إلى هذه الصورة المعاصرة ، والتي يأتى الدافع لإثارتها أنها كانت آخر هذه الصور التى عرفناها .

وسوف نجهد أنفسنا في عرض هذه الصور الدامية من وجداننا .

لقد عرفنا منذ الحملة الفرنسية حتى اليوم عديداً من هذه الصور التى تدمى سواء فى مصراً وفى الجزائر أو المغرب أو أمام قبر صلاح المدين فى بداية هذا القرن وصولاً إلى ما حدث فى أزمة الخليج وصحراء النقب (حين أنشا بدايات النوويات الإسرائيلية فى الصحراء الصهيونية ؟)

عرفنا إلى كثير منها حين راحت تنحصر هيمنة الاستعمار الثقافة ، والعسكرى من أقنعة الفرنسيس فراحوا يحاربون بسلاح الثقافة ، فيمنحون الجوائز لعرب المغرب الذين يكتبون بالفرنسية ، أو لبنان ، أو يمنحون الكلمات والمؤسسات الثقافية الفرنسية للمارون أو يوزعون مراكزهم العلمية والثقافية وجامعاتهم الفرنسية في شتى أنحاء المعمورة (والعربية في مقدمتها) .

ثم عرفنا الكثير من ملامح الفرانكفونية التي يريدون أن نعتنقها وندافع عنها ونترأس هيئتها باختيار د . بطرس غالى ، ثم كان أن عرفنا وجه (العلاقات المشتركة) التي دعينا إليها في مصر منذ أن جاء الرئيس ميتران (بالمناسبة فإن أكبر شوارع العاصمة يحمل اسم شارل ديجول منذ هذه الزيارة) ، ودعينا للاشتراك في سعى الفرنسيين لتعميم ثقافتهم ولغتهم خاصة في مصر ، ثم كان هذا الاتفاق الذي راح عدد كبير من مثقفينا يتحدث عنه بغير حياء (بينما لا يفعلون هم هناك في متحف اللوفر أو معهد العالم العربية و . . بنفس اللغة) .

ومنذ هذا الوقت حتى الآن ، لا تنقطع الإشارة والإشادة بالثقافة الفرنسية ، رغم أن الرئيس مبارك كان أكثر وعياً من هؤلاء جميعاً ، ففى زيارته إلى فرنسا أو زيارة نظيره الفرنسي إلى مصر بعد ذلك لم يذكر شيئاً ما عن هذه الحملة : الغزو أو الحضارة .

أطلت مرة أخرى ، لأ توقف عند هذه الصورة الأخيرة التي قدمها لنا (المنافقون الفرنسيس) - على حد تعبير د . زينب عبد العزيز في كتابها الأخير(\*) إلذي حمل نفس الاسم لنصل إلى هذه الصورة . .

الصورة تنقلها لنا وكالات الأنباء ، إحداها أمريكية -ASSOCIA TEDB PRESE والأخرى فرنسية TEDB PRESE وكلاهما - الأمريكية أو الفرنسية - تنقل لنا كيف احتفلت فرنسا مع إحدى عشرة دولة غربية أخرى بالذكرى الخمسين لاقامة دولة إسرائيل في إطار الاحتفالات التي عَت في إسرائيل - كما تقول وكالات الأنباء. لقد شارك في هذا الاحتفال - بعد وقت قصير كان الرئيس مبارك يشهد احتفالات اللوفر بالحضارة الفرعونية - الطائرات الفرنسية ضمن طائرات غربية أخرى (الإيطالية والبريطانية والتركية والأمريكية والسويسرية والأوكرانية والتشيلية والأسبانية . . ) ، فلهذه الذكري التي شارك في صنعها الفرنسيون أنفسهم (وعودوا إلى التاريخ) قامت عدد من الطائرات الفرنسية الحديثة من طراز (الفاجيت) كما تقول الوكالات العالمية لتجرى الطلعات الجوية وترسم ألوان العلم الفرنسي في سماء فلسطين المحتلة وفي اليوم التالي ، تم نفس الاستعراض من الطائرات الفرنسية - وباحتفاء تغير شكله وإن لم يتغير مضمونه -فوق تل أبيب.

كما شارك الفرنسيون بأشكال أخرى في هذه الاحتفالات ، وهو مما جعل الصحف اللبنانية تصدر في الأيام التالية وهي تتحدث بحزن شديد عن هذه الدولة الصديقة – فرنسا – التي احتفلت ليس بالذكرى الإسرائيلية لاحتلال الأرض العربية فيقط ، وإنما في وجود قوات استعمارية أخرى على الأرض اللبنانية والسورية ، وكلنا نعلم القدر

<sup>(\*)</sup> صدر فی صیف ۱۹۹۸

الذي تبديه فرنسا من الصداقة والحفاوة للبنانيين ومارونيها .

ونحن نعلم - أيضاً - أن قدراً كبيراً من المنشآت النووية والطائرات المختلفة - من أشهرها الميراج - زودت بها إسرائيل وأسهمت في ضرب الدول العربية إبان ١٩٦٧ وإن يكن - كما نعلم - بإيعاز مسبق من الفرنسيين التي أثبتت الوثائق الفرنسية التي كشف عنها بعد ثلاثين عاماً من العدوان الثلاثي على مصر أن فرنسا قامت - بطلب من قادة إسرائيل - بتزويد الإسرائيلين بشبكات ضخمة من الحماية الجوية لإسرائيل طمايتها إبان العدوان على مصر .

نعلم هذا كله ولا ننكره.

و نعلم أنه حتى في حالة هذه الصورة التي نعرضها يتبقى الرمز أقوى من الموقف .

الرمز لما يحدث أقوى من الموقف الذي حدث.

تعلم هذا كله

ولكننا لا نعلم (وقد يكون لقصور في فهمنا) أن الفرنسيين مازالوا يلعبون الدور الأكبر - بعد الولايات المتحدة الأمريكية - لتسليح إسرائيل وتأييدها والاحتفال معها بأعيادها كما حدث في هذا الاحتفال الأخير . نقول هذا - عن تأن وإصرار - من اقتناع مؤداه هذه الظواهر التي نرى فيها من الجانب الفرنسي إشادة بالعلاقات المصرية الفرنسية في ذكرى (الغزو) النابليوني في مصر ، والتي نرى فيها من الجانب المصرى إشادة بهذه الآفاق المشتركة (مازالت مشتركة) بيننا وبين الفرنسيين .

والآن ، ثانية ، إلى السادة الذين مازالوا يتحدثون عن الآثار المشتركة نوجه إليهم كلمة أخيرة ننهى بها هذه السطور . .

أن يتنبهوا إلى أن الآفاق التي بيننا وبين الفرنسيس ليست مشتركة

، ولم تكن في يوم ما مشتركة رغم أثر الثقافة الفرنسية في التكوين العربي المعاصر .

بيد أن صورة الكلمة تأتى بشكل أكثر تعبيراً في نهاية كتاب د . زينب عبد العزيز

وهذا يتحدد في عدة مطالب .

والمطالب ننقلها - عن أستاذة الحضارة .

فلم يعد ليخدعنا ما قيل وما يقال من أن علماء الحملة الفرنسية -على سبيل المثال - جاءوا لتنويونا .

كما لم يعد يخدعنا هذه الترهات عن حضارة الغرب التي جاءت - وليس استعمارهم في مناخ شتى . . إلخ

إن المصادر الفرنسية نفسها تؤكد في عديد من الكتابات أن الهدف الصريح للحملة كان لمساعدة الجيش ووضع العلم في خدمة الحرب والحكومة الفرنسية ، والعمل على تنظيم وإدارة البلد الذي تم استعماره (وذلك وفقاً لقرار نابليون الخاص بإنشاء المعهد المصرى في ٥ فروكتيدور (٢٢ أغسطس ١٧٩٨)

ومن هنا ، نكتب فنقول :

وإنه بدلاً من الشعاوات البراقة التي تتشدق بها فرنسا لإغراقنا في ضياع جديد ، فليقم علماؤها ومؤرخوها بحصر آلاف القتلى المصريين والفسطينيين والأتراك الذين حصدهم رجال الحملة ، وليحصوا عدد الآفار القسرى والآثار الإسلامية التي هدموها وأحرقوها ، وليحصوا عدد الآفار المصرية والقبطية والإسلامية وكل الخطوطات والنفائس التي نهبوها وأثروا بها متاحفهم ومكتباتهم وليحسبوا المبالغ الطائلة التي فرضوها على التي جمعوها غيلة وغدراً - لا من الضرائب الظالمة التي فرضوها على الشعب المصرى فحسب ، لتغطية نفقات الحملة ، ولا كل ما جنته الشعب المصرى فحسب ، لتغطية نفقات الحملة ، ولا كل ما جنته

فرنسا من مكاسب بالتلاعب في دفعها مستحقات الحكومة المصرية من عائد شركة قناة السويس قبل تأميمها ومغالطة عدم تقدير الجنيه الوق بالقيمة الحقيقية للجنيه الذهب عند ارتفاع سعره إلى سبعة أضعاف وهذه قضية أخرى ، وإنما ليضف من يدعون العلم والحضارة في بلاد الحرية والعدل والمساواة إلى كل ما تقدم من أموال نهبوها اللخل المهول الذي تحصل عليه فرنسا حتى الآن من عرضها كل تلك الآثار التي سرقوها علناً وفي الخفاء ومازالوا وليسددوا ما عليهم من ديون ثابتة . وأن تدرك فرنسا – إن كانت تبحث لنفسها عن مكانة في الشرق في القرن الواحد والعشرين – أن تراجع ماضيها برمته بكل ما فيه من مواقف استعمارية استغلالية ظالمة و ... و ... .

والآن، إلى السادة الذين مازالوا يتحدثون عن آثار مشتركة، نسألهم:

هل مازالت هناك آفاق مشتركة . .

إن الكلمة لن يرد عليها أحد ١

ملاحق وصور

# «الكورييه دى ليجيت» حيثيات محاكمة سليمان الحلبى ووضعه على الخازوق

باسم الشعب القرنسي

فى يوم ٢٧ بريريال من السنة النامنة للجمهورية فى المنزل الذى يشغله الجنرال رينبيه اجتمع ، بناء على قرار الجنرال مينو قائد جيش الشرق بالنيابة والذى صدر رينبيه اجتمع قائد الفرقة رينبيه وقائد اللواء روبان ومنظم البحرية لوروى والأمير آلاى أركان الحرب موران ورئيس لواء المشاة جوجيه ورئيس لواء المهندسين برتران ومندوب الحروب رينبيه ، والمندوب المنظم سارتلون قائماً بأعمال المقرر ، ومندوب الحروب لوبير قائماً بأعمال مندوب السلطة التنفيذية ، وذلك للقيام السلطة التنفيذية ، وذلك للقيام المناكمة النهائية فى قضية الاغتبال الذى وقع فى ٢٥ من الشهر الحالى على شخص القائد العام كليبر .

عندما اجتمعت اللجنة أحضر الرئيس الجنرال رينييه أمامه على المكتب نسخة من قرار الجنرال مينو سالف الذكر وتلاه على الحاضرين .

ثم تلا محضر الإعلام وتليت جميع الأوراق ومستندات الإثبات والنفى ضد المتهمين سليمان الحلبى وسعيد عبد القادر الغزى ومحمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى ومحمد أفندى.

وعند الانتبهاء من تلك القراءات أمر الرئيس بإحالة المتهمين بوساطة المواطن براشويش Brachwich المترجم، وقد أجابوا عليها مصرين على اعترافهم باقترافهم الجريمة المدونة بمحاضر التحقيق السابقة .

ثم سألهم الرئيس إذا كان لديهم أقرال أخرى للدفاع عن أنفسهم فترافع عنهم محاميهم المعين إدراياً ، وعند الانتهاء من مرافعته أمر الرئيس حراس المتهمين ، بإعادتهم إلى السجن .

وسأل الرئيس أعضاء اللجنة عما إذا كان لديهم ملاحضات خاصة . ولما أجابوا

بالنفي رفعت الجلسة للمداولة . وألقى عليهم الأسئلة كما يلي :

سليمان الحلبي سنه ٢٤ سنة مقيم في حلب متهم باغتيال القائد العام كليبر والمواطن بروتان المهندس المعماري في حديقة القيادة العامة في ٣٥ الجاري . هل هو مذنب ؟

ثم أخذت الأصوات ابتداء من الرتبة الأولى . وقورت اللجنة بالإجماع ان المدعو سليمان الحلبي مذنب .

أما السؤال االثانى: سعيد عبد القادر الغزى مقرئ القرآن في الجامع الأكبر المسمى بالأزهر، مولود في غزة ومقيم بالقاهرة، متهم بالاشتراك في الجريمة بأنه كان يعلم يمشروع اغتيال القائد الأعلى ولم يبلغ عنه، وهرب بعد ذلك. هل هو مذنب ؟

فأقرت اللجنة بالإجماع أنه مذنب.

ثم وجه الرئيس للأعضاء السؤال الثالث: محمد الغزى سنه 70 سنة ، مقرئ في الجامع الأكبر مولود في غزة ، متهم بأنه كان يعلم بسرية اغتيال القائد العام وقد علم به في الرقت الذي كان فيه القاتل في طريقه للتنفيذ ولم يبلغ عنه . هل هو مذنب ؟

أجمعت اللجنة على أنه مذنب

والسؤال الرابع وجه كالآتي :

عبد الله الغزى سنه ٣٠ سنة مولود في غزة مقرئ في الجامع الأكبر متهم بالتسمانه على السر الخاص بمشروع اغتيال القائد العام ولم يبلغ عنه . هل هو مذنب؟

قررت اللجنة بالإجماع أنه مذنب .

ثم وجه السؤال السادس كما يلي:

محمد أفندى سنه ٨٦ سنة من مواليد بورصة متهم بالاشتراك في الجريمة . هل هم مذنب ؟

أقرت اللجنة بالإجماع أنه غير مذنب وأمرت بالإفراج عنه .

ثم طلب مندوب السلطة التنفيذية تطبيق العقوبة على المتهمين المذكورين أعلاه والذين ثبت أنهم مذنبون. فأخذت الأصوات على نوع العقاب الذي يناسب كل مذنب ، وتليت المادة الخامسة من قرار الجنرال مينو بتاريخ البارحة وهي :

وعلى اللجنة تطبيق نوع العذاب الذى تراه مناسب للعاقبة المجرم الذى قام
 بالاغتيال وشركائه .

لقد اختارت بالإجماع نوعاً من العذاب ، يستخدم في البلاد بالنسبة للمجرمين الكبار ، ويناسب فداحة الجرم ، ولهذا فقد حكمت على سليمان اخلبي بأن يحرق معصم يده اليمني ، ثم يغرس في مؤخرته وتد ليخرق أمعاءه ، ثم يترك وحيداً وبه الوتد إلى أن تأتى الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده . وينفذ هذا الإعدام على تل حصن المجمع فور دفن القائد العام كليبر ، أمام جنود الجيش وسكان القاهرة المتجمعين لتشييع الجنازة .

وقد حكمت غيابياً بالإعدام على سعيد عبد القادر الغزى وبمصادرة أمواله لصالح الجمهورية الفرنسية على أن تعلق وثيقة الحكم على الصارى الخصص لتعليق رأسه به ، وحكمت على محمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى بقطع رؤوسهم وعرضها في مكان الإعدام . ثم تحرق أجسادهم على أكوام من الحطب ، تعد خصيصاً لهذا الغرض في المكان نفسه ، وينفذ حكم الإعدام في المذنبين بالتالى :

عبد الله الغزى ، أحمد الوالي ، محمد الغزى ثم سليمان الحلبي .

يطبع من هذا الحكم ومذكرات المقرر باللغات التركية والعربية والفرنسية وتعلق خمسمائة نسخة منها .

وعلى المقرر العمل على تنفيذ هذا الحكم بأسرع ما يمكن .

صدر في القاهرة في اليوم والشهر والسنة عاليه وقد وقعه جميع أعضاء اللجنة وكاتب الحكمة .

تحسنت صحة المواطن بروتان المهندس المعمارى وعضو المجمع المصرى وهو الذى تطوع بشبجاعة فائقة لحماية الجنرال كليبر ، ولكن بعد فوات الأوان ، وقد ناله من المجرم ست طعنات ، منها أربع طعنات خطيرة وقد صار الأمل الآن كبيراً في شفائه مساء ٢٧ الجارى اليوم (وقد جاءت هذه المذكرة بناء على طلب المواطن ديجينيت كبير أطباء الجيش .

# إسرائيل تلميذة بونابرت ا

من حق إسرائيل أن تحتفى ببونابرت فهو أول من مهد لها طريق استعمار فلسطين 

مهد لليهود الطريق بتخريب سواحل فلسطين وطرد سكانها ، كما نقرأ في كتاب 

هنرى لورانس عن الحملة الفرنسية في مصر فعندما أوقف الجزار باشا زحف الجيش 
الفرنسى أمام عكا ، وعاد بونابرت مهزوماً إلى مصر ، أمر تخريب السهول 
الساحلية وتطبيق سياسة الأرض المحروقة ، مما دفع فلسطينى تلك الفترة إلى تركها 
واللجوء إلى الأراضى المرتفعة . . فجاء اليهود والمهاجرين بعد ذلك يزاحمون أهل 
البلد في هذه الأراضى المتخفصة ، التي كادت أن تخلو من السكان بسبب تخريب 
بونابرت لها . وينهى هنرى لورانس وصفه لما حدث بقوله : "مرور بونابرت على 
فلسطين كان له عواقب فادحة لمستقبل البلد" . فالأمر إذا أخطر بكثير من الوثيقة 
فلسطين كان له عواقب فادحة لمستقبل البلد" . فالأمر إذا أخطر بكثير من الوثيقة 
المزعومة التي قبل إن بونابرت وعد فيها اليهود بوطن في فلسطين .

إن مجرد قراءة مشاريع بونابرت المستقبلية ، التي كان يحلم بها آنذاك ، تدل على زيف وثيقة ، تعد إحدى الوفائق المزورة ، وما أكشرها في جعبة الدعاية الصهيونية . نقرأ في كتاب "لورانس" أيضاً أن بونابرت إذا ما استقر في مصر ، أراد الرحف على سوريا حيث ينتظره الدروز والموارنة والعرب ، ومعهم الأكراد والأرمن والفسرس والتركمان حتى يستولى على القسطنطينية إلى آخر الأحلام التي سيحطمها الجزار باشا بصموده في عكا . نفس الكلام سنراه مكرراً في كتاب المبعوريال الشهير ، حيث كان نابلبون المنفى يطلق تهويماته في آخر حياته ، المبحول أن أسماء هذه الشعوب كما كان يقول عنها بونابرت ، لا تحتوى على شعب المسه "اليهود" ، لسبب بسيط ، أن عدد هؤلاء اليهود ، في ذلك الزمان والمكان ، لم يكن يكفى لذكرهم بالمرة . فلا يستطيع بونابرت إن يعد أناساً لا ذكر لهم ولا وجود ، بإنشاء وطن لهم . ولكن تخريبه لفلسطين فتح لهم أرضاً ما استطاعوا الاستيلاء عليها دون فعلته الشنعاء تلك .

وتحتفل إسرائيل بمرور خمسين عاماً على نشأتها . وحسب معلوماتى ، أن اسم بونابرت لم يذكر ، مع أن دولة إسرائيل لا تدين له بوجودها على أرض فلسطين المغتصبة فقط . فإسرائيل أيضاً ، دون أدنى شك ، هى التلميذة النجيبة لبونابرت ،

مستعمر مصر . كان بونابرت أول من أبدع الحجة الأخلاقية لغزوه بلداً مسالمًا وتحويله إلى مستعمرة لنشر الحضارة فيه . وكانت دعاية صهاينة ما بعد ١٩٤٨ تؤكد دفاعهم الاستشهادى عن الحضارة الغربية في منطقة قالوا عنها أنها نائية ومتخلفة . فكان التعاطف الأوربي لهم ضد العرب ، ومن أهم أسباب مساعدة العرب لهم . لذا أصبحت إسرائيل مستعمر يلجأ إلى هذه الحجة الواهية التي ابتدعها بونابرت لتبرو فتوحاته التوسعية .

ولم تكتف إسرائيل باتباع منهجه في التضليل الإعلامي فقط. ولكنها أخذت منه أيضاً وسائل السيطرة الكاملة على إدارة الشتون انخلية في مصر ، لا تختلف نباتاً عن النظام الذي ابتدعته إسرائيل باسم الحكم انحلي في فلسطين . فيفي خطابات كليبر التي نشرها "هنرى لورائس" ، نجد البنود التفصيلية لهذه الدواوين لا ، وعلى رأس كل منها ملاحظ عسكرى فرنسي ، والمسئولون في هذه الدواوين لا يتحركون إلا بأمرة الضابط الفرنسي والاسم حكم ذاتي ! فالاسم مضلل : "حكم محلي" و "شرطة وطنية" ، والحقيقة أن هذه الدواوين ، بصريح العبارة ، لا هدف لها إلا حماية المستعمر وبأمره فهي ، أولا وأخيراً ، مسئولة عن النظام والأمن هذا النظام وهذا الأمن . . لا يعني إلا كبت الثورات ومنع المتمردين من إضرار الفرنسيين النظام وهذا الأمن . . كما أن الشرطة الفلسطينية تعتبر المسئول الأول عن سلامة المستوطنين اليهود ، وعليها أن تحافظ ، قبل كل شيء ، على النظام . أي نظام ؟ النظام الإسرائيلي وعليها الأول ، أي الخافظة على سلامة الإسرائيلين ، وكان بونابرت عبقرية إعلامية ، عرف الإسرائيليون كيف سلامة الإسرائيلين ، وكان بونابرت عبقرية إعلامية ، عرف الإسرائيليون كيف يستفيدون أيضاً من دروسه العملية ، وهو الذي ورث من ثورة ١٩٧٨ أسرع وسائل الإبادة ليربح بالله ويستمر في مخططاته الاستعمارية .

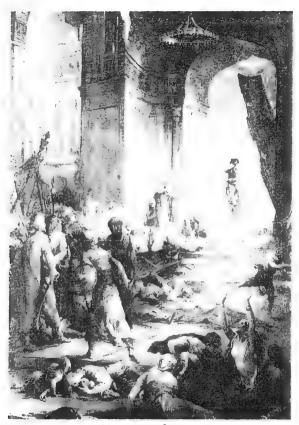
فإسرائيل هى فعلاً الممثلة للحضارة الغربية فى منطقتنا ، حضارة الاستعمار الدموى وازدراء كل ما يختلف عنها ، وصلف القوى الغاشم الذى لا يفهم إلا لفة قوة مهارتها الوحيدة أسلحتها ، وفى تغليف أفعالها بالقول المعسول . إسرائيل هى بونابرت العصر الحديث ، فى أسوأ جوانب شخصيته المدمرة .

**أ . و . ليلى عنان** أستاذ الحضارة الفرنسية جامعة القاهرة

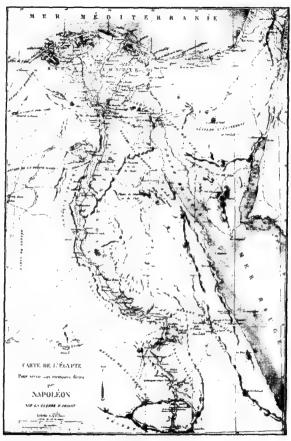


مايليون في الإسكندرية بعد احتلالها





نابليون في عكا يتفقد مرض الطاعون



خط سير الحملة الفرنسية



۷ – (۱) كافاريللي.



(ب) بلزك.



صورة ذات دلالة لـ نابليون بونامرت كما رآها رسام فرنسى

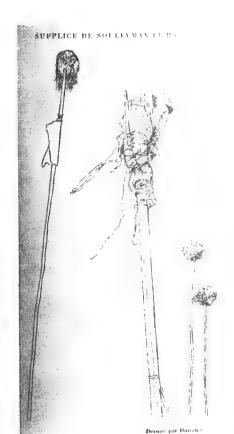


(ج) چومار.



The title page concerning the trial of Soliman el-Halaby, assainator of Genera Kletter Second-in Command of the French Expedition.





رسم سليمان الحلبي وهو على الحازوق بريشة ديترتر (Dutertre) وسام الحملة الفونسية ( ويرى القاوى رؤس الشيوخ الثلاثة)

sent pacete at ticanest à propique toute l'bri.e. laguerre d'Activipacit el senu à bour. à l'a. 'e depoutif par le premer , et retend long tempi du lord lieutentat qui eta ua vivertui acm I'wa . Hand Circongers . Bouverse sout l'auturité de. Le pays est done parrage un deux parrie : engras que ces entrologues exteconice egue enthaliques dont an beje fie gearent. Let des eerrices par la conficciona des demaines des coatre en pays, ils furent racomponent de lauss qui guivirane Crommet dens son exphaltine sereand qui aly requirers dependent d'Anglish tom fer ferfelige eine eine foligien . at jet bem amend se albibliochts for adjeithab, e meann C'the se Cles die deuer serribed mit prime The state of the s THE REPORT OF THE PARTY OF THE B'ese engagun. Le parlement , nauffie par le pat leur sectemation que la querelle scinelle ques fein appressives et problemme qui furch au midettete, fut per piete feur appue, it est amous de la liberie, soit esprit d'opposition de quelques membres du parterent qui, son au porte ou il en quart avane Ceommel, Pendane tur ia fin de re trette i etperante me remonter dans l'asservicient est per absolu a sec-ouves minigeten t'err abrilaement erfuje à ta regelru Brait demeure auch det deules patriques : c'ess tishe protestant dominatten Ang'ettere , mait il poeties cantie in dans is temps ou le class. weam bane, disons sous, define abroger quel Brands , if doing so borner & l'admit copplets à la grain , à le guerre et aux refe to paire pair II apr piquel ger la the language des to be about the standard White "Conglessorie of alle of mema "selleeder telemanten bit mered un anterna the proper filiation of the bedden de Alberta erigide, ou écculor se perienes par le gouvernernt anglait; "suire. The private gue sour or to をなった dem 3/

not of his proprieties fureen mines & in more le coldre publique ; des peuses byens mis hon maniani ch le bruk de ang apan piccolinem pe de la liberid samplió necestrale por com la sevar Les liberide basescholipes a la goutige de mer de der Wije feite practifenen a mane d'Anglererre , Un's pelai d'irlande . a'an afelianarloge prerier à de tejer ; cast su greleder ermpes mit y diebere pationades, Lor de le pain de rei , s'ent l' des que les peries militaire pour ses eggeresir. Cone mesore storus personne a ple philige. Etemplogen la force

topate di se le salesale set. mage re-mone compare de se qui s'y see pass breque l'acmer d'Origie ent burte d'Europe Patte deale le sienation der Malire en betande.

# Buide de demer de s. Cin. . et fes clanes PHANCE du cerga latitateif. --

tr. con preve par ld meme article. Augusting of the tractage distributed applicable oun jugement rendus dapuls in t. Pattite bergeren bergere tet magnete III. La disposition de l'antide premier en

les encyres que ore pré provide leur proprie straube la man ere dent seeme ladembit gee en it gautt ne ftrois, er spragerna der em m idates fes plus vorennes de celles ou ale on But devage fet contes e de guerre del diviliani BÉCEFSAILES POCE IEDTUYOF, MAN BÉLSITES PIÉSE Les e et amestidor, on a discuré qui cartie.

entendu la lecture d'un projet de los pout fixes jes ten ten war and tententen t and ten bes and tentente les turmalmes que des creojens deverant suiveq Le 3 mensidae , on a repris la discession sue Le , messidor , le coaseil des cing cente ,

was renobition pass anner l'erabittiement der BOUVEAUX BOIDS OR BACCUTCE part dere admit it l'exercice de la médecine. Le 5 mesaidor, le conseil desting ceacs a pris

COURIERIDELFEGYPTE

2 بن ر ج

Inite de l'article une l'Irlande et ". OUVELLES.

le cumité suprême des Erlandais min a The le consucercement de prairiel. I Angliorne.

passer long for secours prenountines dans lour putrie, ou du moine à plaire plus prosessie, en quelque région qu'ils publie le peurlequation surveitle : . Aav. Lee Les li landais absent de leur penuture la plus dechirante. foul he compute had on peu de mois la d'adar briers braves compratribles a seentres que sessout en beur pouvoir, ship pays word post invites de la utenière le ur to pag de la tyraunic anglasse inuvered a minusper increasinined ÷

Mrhade >

a Angle leten, de le quatter sans defaa. nun, iis account praidus ou fusilies sur-ومستعدية استمر عددها فاستدراه by a manifally arme belong to el il. emprens Irlantians, Quint aux frienap siving and ap appropriate treme anti-priga de decheance absolue es à bilindars qui so troque au service de tos Il il ca rigarecusement enjoint a tout

tes pour cause de settere publica

Midal , desertant avec stures et begiges, sa segra de leur patrie opprimire. Tout d microut be parts emeans pard venir an entite in Learning to tangent a amendment Ill. l'immesse solemnelle el sacree de

Le 20 Eximates VI & Lange DE LA République !!

fiam s'il en vera de meme des nysisibn que accimerent mans quelqu'un des posts d'Irlande un bésiment britannique, sois parrie, des biens scolepteniques, ( Ils embranent à peu-pré: le mors du mi, de de guerra, soit guarchand ; de plus, ou eurous d'an rucevair le prix à l'esticia some des égands particulters pour ces ba-

aug deus cliambres pour leur simonest Les papiers anglais amittment que die ment de l'utterteur, que les chufa des niare charge en Angloiene du departeécrivait au duc de l'oriland qui est le mis eire secundes pur les tortes de la France. tard, les rebelles ( les insurges ) deraient quan premier juin ( ) present) an plus aur le possit d'eles ess a execution, el qu'un plan d'insucrection generale ctati nir dans les comies de Menili et de dana cerre ville; muis il sue pui la provodes embecherent l'insurrection d'estatet vegnent dans le surreu : si prit des eneceses et les destructs adjucces ne fanden en enou-Cuanden crayonis que la ville de Dublin partisone de se tenir préts à agrir. I e land Irlandan unta avatent orduning & leuri Le no men (6 prairie), le menie lord

The state of the s tiffic de tre oreliter, par te jeu de sa rompe et jes ettle egdere de art que flusfon ap-pide leur d'amedur. Nour renome era écosi-tamérrane du entlete petities des écos-les Aprindonk : tomain oculaire des écostions anteniae dod demlife, et 'm wallfrateit gar une editeds fiblies, questi on a fond la Families les frances, la Çara, la familie arrente et labest musiquet far la mauvement con

# S'ras SLAUYE.

Beronne , fe EE, metiliar.

A to menidor a tie un leau four pour date dans cette commune i nous avant eu l'ouveil foctionale passi nous de lavre Courti foctionale, qui, amban efecters. Une d'Amerique, seule nom repose d'un 10 . cente de Pintadelpine, a repris ser san Just les amis de la liberté qui ve trouvoient

The administrations must object of the responsable to compress a goal durk commenced du distribute out the appellering Table des Literaces. in his, and has a could to it has been used

solu de marayer à Kuschisko va se i

Jeur auch auch migge qu'il fui a fair, ma

# Personny, lo 33 mercidee, . .

10 14

Addington the access process of the access o

the property of the second of anne ert de Ser weden, par est genera per entanger en la profesional de commentant de ser weden.

« conser neva adminimar per las conserva de des manifest neva de Computer (Marie de Computer de Ser weden.)

Lescondes y desarres de figuradad quel faire est de figurada en de ser de computer de ser de commentant de la profesional de printer de definition de la profesional de la profesional

invariant of places and an experimental of the property of the

Er de mas, a colobar que les morgans ere religious 1: first hibertent consend de

us Colte, de Lingeriorerte de Narc AUALL, Emprisone La L'Armir; su mortier des tempas.

١ 17

# as now of a brakle.

# N.º 6.

DURRIER DE L'EGYPTE

# .25. Joun Countimentaine VI. Année de la République...

Let the methic we indicate value.

Result comes in conduct the control of the con

The state of the s

commence of the commence of th lar date qu'il a conquia az pazizulte as renz date la ville de Ventur e cu il a l'ait acorre l'organitons qu'en famient ave Murclassice gaire religious; cres pieuse, le Gouest pril le dell'emme de 1800 les attendentes gail frouve pectaves à Italia tempitil est h' fearenmear du traus du Papa, qui le guimoir le maierze des fileles es vious le dege elust à flums. Cet aituan grerret 13 - supitiorité de l'istrante pur tours les Beite ane and erent mite atte de itteritung auf destitamiene, qui fancit croire eus chride donkers de s'en empires , la descriction de diglim christenses es des cosis , d'un d'effere eus gloieur miles consumeus so the fillies our forquets to rout juliant oux de Dien que de remer la suzg des

and the second of the second o in with the transfers the bound of the borning to presurent quality Arthur vote era ce prochectat du Corre, le Corre et de l'arma potentions feetigasses requisitored to de de se françeiro, sa transporte, fai même cane la ""id east grage"

the Consect plus ours noise over the to alle a subside que la descrip ason delles se eratisis faces of le plus grave us Mathemtire on denerge an Circ. ch il four seements in metices on particular prints.

In standard form so soil.

The world does appete acception and

st gamp qua der dentem; desa le ver prei Il deuty de iendriere bar. Glebri ; et de te dangier hern lopulander va. Lear souch te la géant a simbas der Besser cani-drabite en conses un general de te dangier au feitie auf notable. De manne te dangier de la feitie auf notable. areas tid d'aits ainsi que fui de donnes catte honorehe commisses qui tre distingue l'Entir Muttaphe Agne, l'Enje de soit catte funda Agne, l'Enje de soit catte funda de l'Anne Muttaphe (Enchs Guurreneur pas vent laiste igaopee que le géneral e tempigne le plus grand déde pour la mo-misserous dun Emie [fed] est gour sontes returnes a late-Nove denice vertone no de Cire. Et ce chore mous a para deverles dispositions, que doienz pracader l'acstrain couracie. New comerce a Diere annual gent pour le fête qui a ou lieu et qui a etc des plus bellanses, à la existentien des dra propheres . il a elepenar frence ip d'erpunition acted a reported la juie at la sinemast is plus a cons. Auss seme domil me areion sap un aus such ber minte conta ches tous les fluidioens

the an artee on a sons sever of the sons the property was per of the mineral service of the ther un quist a us a municipality de vous expedition de la caracte, e de pel'eries : in and the print oct four tes intrate des . para ca acmenada. Le General de l'armes Frageitt montre

" unter " as garrennotts at de aut es "es susversió esa hombra, es qui a est douede aneone glur out dus est seun eurorites sur les sursectifies compagnons de se mus-Salut at mille f. .. salur de pare sir e-

t. Odvorne du ermit ele la ville du Roby-ll-ewet. Lon de ifigere pass. sion divisis. Fait au Caire, le 20 de le lone de

viguer same to provide a tricolor. en entra paroprier en cia province plus el dui français des avisos es autres chalpa-Actede , Demistes et Coulea, terope ofter-

V. Au prom er confominen, in pawifica It's Las mendines souls du Diren, pour-

that the all hear du Carre, at the fire Signe, Bungpatite.

-----19. d Fot tr.

Legibura v. . e cere er freite et iftine nel de Carrene Saile Bar en una berbite. the great do la proce the wind de e . T bachen ann and term Lat jes neigne, ' crus ave, trangement au militare met le premer en : 'en re ce en la liberto | hotelite de la part de la republique Lightancre section for a letter of tenament du mate, le gaussemelle it reacted non-Profue ..

l'écolimitatif du fatie ace aif et de met orden. firste but de mide. he follows are their as the second seconds directors are also be frequently On annie proper quelques anquestades à

ARBETE-D'U. GENERÀL Règique le sain de les distant II des EN CREE! Préside le les distant de les

navigation du Nil , parteront le pavil-Ordonne ... Art. P\*. Tous les habitens de l'Empre pursaons le societé tric-laire. Il. Leutes les germes assuloyées à la THE TRICOLOR.

is a guistines avoid avantage; il

910 1K-0124

multigud" If e enfouthe laura pufacticut il

entra a ces ugural dens das discussions

Ill. Les Cindente, les Commundaris des Corritors I conquire, les Oficiere I l'angelie, a deirer du premier venticonigire a admirer et altes aucun individu din pays hour price, all n'il a controlle, lott cermanatur price, all n'il a controlle lott cermanatur price, all n'il a controlle lott cermanatur price, all n'il ne controlle lott cermanature. iles des humanes presents, et spirit deux con-itenaces inst inngues , les membres du Diran ment, en se processes, resétat de le operation fredering in a siam dissipe les inquiets-

and the or action of the second and actions proventions has sent joinen takentifice in a supreje der'h voienn et de la discussion et de la discussion de bette dens la joine et de la discussion de bette dens de beste de beste de la discussion de beste de beste de la discussion de beste de beste de la discussion de la pour de la p empares, gondien do any seres pour des uplanons, pour des males cultures prime of the last as exmotel ber meint leat this et per consiquen" But same progres the new les homeshidolore et ent sound que biensor tous de la finalist and I reprojettive succession after sicular of their permittions that les plus econsilites aux prejuties as aux plons andmin of uno grande matter, here Le riccie elente dans custe affire par

the the property was an in a few rate Everyoner to it creates a de Fire £10....

with a first of the interest of a vertical the Mingraphic by Margan boundary wife. de la pest de la repriblique malfores eritation and the thirty and to a serious biglic son inguence hour tare t same. on most but a dien the west from at Ausstüt que les L'guerens et les instre-

west, is our cone laure len telepreten 28m de connaître ber intentione ufterietabl du Santas and on southerstelled no san stanta A print, then the figures against a figure of enterior the family for the print, the figure of the f

A faith, sales' d'artiforie;

che'ne, ed les troupes que manures et A Quient houres, le même cortige en mars prondre le general, et a'est rendu au nurgente fiet fatheitent du paye.

abutes a pied.

Il y arail beine courmen Turce, et peiro energure Frangett, elaque funde etoit diquarre quadrites Les Jures ont cou les premiers; de chaque quadrilles, Corries a une cinquicme course, les erry Later Buters Tires out concourne

it i queste a inquents Français, one con tres destantes, or coluit qui afai emis le to be and provide that the chartered or

# Extrait de l'ardre du jour, de 12 vondénieire.

Le payeur général de l'armite, ayant des depotent a promise a fagard de la partie de populario que les officiers des dellarens general en chef ordonne aux conserts d'admenstrieu, et aux commandans de decorys on abandonna event leur depart de Louisan en la James de leurs section : la en. favour de feurs épouses; le dans to plus court delai, un olat gresentour, tant les retonues qui por deja ere faires posts oce objet, que les nome des officiers In ter one supporters.

# APIS DIPERS.

in reflective among para. Durchai la premier per analia suber la empara de conservant among a biologica per grante de problema de conservant among a biologica per su problema per suber de anche fantania, conserva paragrama, la conservation de la properta defete de page.

Onturer, operanda problema defete de page. Lo 17 rendembres & 9 heurer du marie, others and participate to Plant a

Learning Man Aurelian of the first of the fi A. C. of Service, inflormation in the color of the color a lediting enditings To some after all BBL is even in common per transfer on a recommendation per defended de montant and account of the consequence of the consequence

Second Singmented de Mace AL SAL, Impressed de l'Armes, su quarrer des ferrens.

# COURIER DELPECYPTE

N. II.

demi-brigado d'infanterio de ligne, se ddischement du C. balaillos de sapeurs, pour exiébres l'ansiversaire de la londate man macambles have de l'enceunty de kur camp, los s. e cr 3.4 lateillan de ia g. defen du general dir simmaire Roynier,

u. elle fois reverse de mie la Arpublagion. "I Le gradest Beygier, accompand de son étal-major, du dran de la province de Charquel, et de la compagne des militaires, il aprounice undisc una similique l'adjudant general liviausais. Cita deur discours out ete seites den erin er de plusien er augs de canon Les troupes marches patricinques Li tera a etc ter-Janissaires, s'ert rendu un Leu du la remnos; el après avoir fait placer le drapean triculor au plus haut nimaret, et (a.) out misune dutie an sor de la musuide an firence qui a execule y latteurs airs tre tion de la République se du remeraeurent erecuter aux Incopes plustrans evul mons de la monarchie. the lear paratite, nicted yes but pour

and prince and a state of the second and action

LI Jaural Fostice la printine.

Cest princip lonent lorsque Pan es cars tractidor dernier, et contactaement | clougue de sa faite, que lon strapped

LE 20 VENDÉMIAINE, VIII-ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE. NOUVELLES.

O a assure qu'lhrahim-bey a carroyd

supres de Djesase pacha, Musique ber Le pour marcher contre les Français, Ibralay us fur a cavo, 6 ta femuer et sa fille, mais effes a'ont pay eta plus heureuses; Djezzer perbe lesa renvigers, en annontoutes cer promesses, et qu'il combissant trep bous la man ete ouni les beys temanganist lear recommissione & cent gas les tecesient, pour etre tente de fina lare pour cut; que d'aileurs l'excurple dans le bud, apres avair contribue a co-

e Parthus of

as grance de l'ordre du General en Chet. Blee a send beunes do matin, en con-

Beilege, to a vend. stance.

All the state of the control of the Envalierer de l'injerieur, il alla en luile, qui dejuis a illustré as patrie par tout de honord le noit & rençais. Bile mir eu évigrandes choses Apris work values les Gence , al fil readre justing à cel housens Tevella Fenergia des pariotes elle ful subilita ilu nouvean gouverdement, elle · Bot le vinseau de l'Elat, violemment per tous les partis; elle assere la

menuorable. Dans l'une ou se sourraiens the France a pour celebrer cette epoque Il y a cu nu Kaice plusieum Montons

verified patriotisme et la same philosesuivade, dans la composition despirels le 4 cette vicioire, ou a porte les touste to la remouveles jamas 1 1. An 13 vendeminire. Pusse le soupline se trouvat reass. puditaing there are inh sairfilled straight teme de cette journee eccebre ne pas allacar de novre memoire" per ainis auna

sign second, are quiver in a south we co go a this bounes long Elles and an

nesi si mater que suel no seriques con Pholomore, it fit double an at he mallower a fore of Omar bruta la b bacthegre des 4. A l'union de la rience et de copulaine; trop divises, a I-historie. Trance. Tesp accumules, its behaves an

de in genera i et destable l'égatestos. Bienfelderes du genera hounies en rosse en moure, anopa ses impligateurs et me

Gongu. Noss dossons an ssonda le préssiver evençõe d'un législateur conquièrais, Junque mana, la "reinquesen avance; kunjuuts adopté les lois des vaiucus, autres maliante, que Boosparte l'est à ton runary and theirs such carrious to rasou, plus sufficile que celui des armes, Rempertoes sue sur le triomphe de la 5. A la civilisation de l'Egypta

Puisse-t-elle réparer us jour ses malheurs 7. Au giaeral Bonoparia. Dem l'ex 6. A la regindration de la marine

del'Europe libro, et de l'Afrique civilinte. anes pour etra lemmin de l'adiniration et de tous les necles. Puisse-1-il vivre derriere lui, les hoisines de tous les pays pace de iron aunées, il a larse bien loin

Couldent.

republicain; il augment la famille des

Fit Allemagne, faire respecter l'esendard

vives date le caror de tous les homines man tenons towerer has homensper Your the wine age thement and the thirt Voutaveacutienté de voirzang, l'edifice 9 of l'armee Poisse-t-elle, apres de & Aux fondaceurs de la République.

reputter echo dans la l'inn e parettes les lungous impres, et de noutres la explosig, lauriers quietie achela de aon sang. 13. Il to para general - Nova grons

constitute pour since a total to but de

town the en singly the rest for end

la ravoluprinse!

titeria su chavire agrecibic et un delenpenne encore , promet a la cause de la takes et au patrionome de l'aleur qui . goes strophes. Elies took becomen and a ha une oute continues rauforments quel-A la fin da rej si le citagen Benaben

Saint & l'imported génie ... Salut f Smenory No journele

Cor entant more mare excepts. Source me doubt the sat verticer of Lutages Piet's worth has creamed Que tan ame silect a cauda Only would be begurde de leue mère,

Birs L'eus imengat to beas . 's du berge du Pliebe C'en eas e fa e de une patrie e The purposes of percent Sie wile agreffieen den eu't, 3. Kirmist une house presente

'e certe raharta mordente Il parul , et si int o justinette

Maje an engon edit, reat l'ententre ; Car farie e un fraie muge Decider lecial précious; e in bienfarnaufe fuchiere If contact a dark a date of Or far pared mer plus beens justs ; Inverse has avarbreus solders. a co get abs write to enurs d. A-wii , sout le cet moins sauvage

Du trace as crossed from he secret; To see posteut & the tore, Car le be flaut auer der eiene "mind a, so abut at year us a,s Poul le bris taus sour gare, y literary extrat de la e ciore

acor despique. Qu'il cultire avez son los hides qu'il a reças de la sature ; et mus lui genentisons des sucret hosogra-bles dans la garriere littéraire.

Pour le 13 vendimiaira

A ma patrie enmagination Out rouds l'aspair et le paix : Tun auen à leur Brançais rappolie D'uoo hardo melare ut rebelle Don't fee marmorables bi ulaire . Cortagior of in chatimout.

Je cois, ent- emissist, la pierre Artacha ses teoles fambesun ! Duelle mare de mag degoutrate J. Dient gudle erena d'fpourbotet Brun la coupable instrument.

soit sous celui de la passinussance des el-Cherquoui e été chois pour president. costribuent à donner aus plante majered as sensbled her functions du desegnisations Français, La beauté du costuere manul-man, le gravité des parambages, le momand critic assembles pourra presenter Noue forom compaitre à nos lecteurs cu a cette cenniou. Lo cheykh A'hal-allah breaz domestique qu'ils ant à leur suite Bertholet remplissent auprès de cette venidmisire ? les cinyess Monge et Kaira anus le titre de Diran general lis not term laur première scince la 16 commen dennes d'unifrection et de ciinteressent, soit sout le rapport politique,

fercut ce beau pa a edbreamant du jud poplarie garage returber and he prog do era on our et l'Egypte sera alors assurers de ne plus d'Ibr.hym, secont entirement disperses; tout an i me que brutot les cerces de d'imperience les n. aver es alienties mais out ate enleves. On wheth avec bracener beyo ont etc sues, beaucoup do brangos du general Desaiz oni baita les Maia-Lemes de Mourad-agy, el de rello bulks que out survi Mourail bey : tons

activité d'urganiser toites les parties de En meine tenns que l'un s'orcope avec

Assumption by Divan Cintare

D'sprée l'ardre du général en cheff

Do Phaypie.

Ligiple sont en se moment reunis au

# The party of the p Arts Derkas.

ass'de l'existent de chaque moison, on him chince, ile tos mosquenzal ducue de g'estate edam laquelle ity jugerant qu'ile W. In percontennt it cet effor tower ber 278 byories do deux soldite Français of Shore soldies Tures, or d'apres l'impre-Givent eire magel.

T. Les prebitectes devrent avoie memine orre apprauents, dans les buir jours de SUCE BURNINGS

Carre. Its some derive majué eta Arabo at

mentee Français.

and the Case, claims done in accommendate the company of the compa nue topius seront patiages les divers autre-IL La reconvrement du drait d'erreigtermene pera fait bur des ecrivatina cophies;

Will Les derivains cophres, commenceunt leur perception, en m. mo temps que

WII. De revention a 17 ages to paid composition of the a feath Epperature of the second of the secon

counter est de Six bookings, que l'afrancement et trente autonnes sers de Cothettephanie ne reserves auton d'abournement que l'ans es passe danance il passe les cripcies de abbors qui deurcentes poblances, d'approprie tent étates et l'argant. On securit à l'abortes en desannes Le dingen Mine AUREL, provided nes concuspens que le print de a

An Care, de l'imprimerie de Marc AUREL, Impriment de l'Armee ; un questies des français

# COURTINEDETTHERYPDE

# 高いない とは

# 10 BRUMAIRE VIIII ANNEE DE LA RÉPUBLIQUE.

XVII. Loudest allenne hereaugh status per darriede parmine, men portu darre ler nibes d'Augandrie, Rosente, l'aux et Danibes Abelitate An electric de Grand de Selectric de montain en sus autres per, son se eabelle, tomme for sutres aux dispositions dis presente erritei, les morqués soules 'esta termine in reconsecuent date destribute · Headman see s ADMINISTRATION . .

some quels income presenters at inc. et est agranted the queen control of the con auctie, rash la questé en est ruluita à maried past get withy, en bourgements, lost attire contraduction coveres diarett you offer. fee in ni eer an baider de quitanes e eantheir d'ente le madele qui fui sera an-tere qui's libitimistica y mini des benses, sub-le sector 8 and erro eine d'endere de ri-ra à la quartité qui lei sera necessité. 17. Undnichtratine de l'euregistranent Care Litron lisewent dont il sora chingo 22. Chapte pare by producing divinit arrest dear la prissa de len egracemento bea La circum, an Carling partients of circum, an Carling partients of circum, an Carling partients or concentration and a perform to a system which produced in the carling parties on the familiar parties of the carling parties of the carling parties of the carling of the carling

AP P Lo acretor for successivement

and the area summapped and the control of the

described to the annual behangers. The processes amongs of building particles and some continue of building particles and some continue of the a transport of the property of the person of the contract of t

We applied to a property to the property of the party of the tendency of the t

NOUVELLES

Sing, BONAPARTE.

-1 Louisson L. into de treat would Service man, and house the feverage

mosvers dans ce port. "." rallid de norre escalre, a fair voile vers Maiteroù il se jaindre à norre escadre de Toulon et sus trois gails...au qu'il C.L'Ambrell Villeneuve, svence qu'il se l'es .

and fortifications de la place , qu'elle ess Pager, et que sont dans le meilleur état. ou iregites dont on complete ter équi-On a travaillé avec une telle activité Nons avons icidia bhimens de guerre

toute espèce d'attaque. allabri, seit par teres soit par mer, de

Cinquiante pieces de canon de 24 avec

sone deil fonents pour nourrie l'armée nouveau pour les babitans du pays. ceure activité offra an spectacle bien dus par plus de so pièces de exmpagne : avec autent de soin que d'art, et défenl'enceinte des Arabes, d'ouvrages, faits branches du part ; on a couronné du so mortiers defendent les d'Arentes 7 & # griftes & boulets rouge , et plus de core de terre routes les montifules de thistelleus say essuentistes makently

Nil et le canal.

mit toutes les montiques que bordent le

guéri de sa blessure. pendant fins d'un and Le général Richer n'est pas encors

11 pouces sont dejà à cat ellet pares : Nil. Plusieurs pièces de 16 et martiera ce pour mettre co detense l'enfouncher e du On reavaille aree la plus grande activité tentide la conduite des trompés françaises Damiette. On est ici extremement ron-

toutes fes morquees, et em mont a state massagré tous les Massilianes acte is alarmes On a and proble quitality to Alexandrie, nous avanteir extremental mière nouvelle de l'attivée des Franças l Saint-Jernal dere, 20 Juliet. A gre-

non scalement its protegrant la religion ביני בות העוד שונים שונים שם במחוב וזיים ביות מושוב sousumant , mass cocore qu'ile l'aiment en excharage ic secte its in politicist Mus depuis que nons montalieurs

> ne vienment que pour détruire les ty-Pées. S'ils protègent la religion, et qu'ils chrétienne , aus craintes ve sont dissiet la préferent sex dogmes de la refigion Fant, que diéttaccompagné leurs armes

X A B R E.

Megyls. Un penple intinente couronres, s'est rendu à 6 beures du matin au Van, du Molia, de l'Agha des Janistal Farmée, du Rykhaya, du Pichi, du De tous les genéraux, de l'état major de an & de la Republique ( sar 3 de l'Egire ). Relation de la fine du Nid . le v.m Fuctid Le Genéral en Chef, accompagné de

temps que l'on travaillait bla coupée de arabe, joust plusieum airs pendant le erid sed apabarus bin getbam ne alaa. maient un coup d'ent auxi grand, aussi tie de la garnison sous les armes for-Toute la flottille paroisée et une par-

campagne da Faire. runal d'ou il purce la fermité dans la gue, et entra comme un torrent dans le to instant sprès le Nil franchit la di-Le General peta plasieurs pe il essite

elt deguis un sicele . ce vent frie totte et le plus bean Ni qu'il y air gena ; the sans that bont chapter cdéliter par l'orure de liveu con con-Out that the would have a more thank in the table at the first properties Promiète et un firmide fingage, es immente the chantacties to reages du place bribehich, saint fin um pergie E suite tout le contège friourna est a buer 38 cafrans aux principaux actiones. 23 de la poi sie blasche, et al fit divisie , c manance le Molis, ette Nanghall Ach. dige au batend ein getten gut ta, der de in medina su prufice, et bemenup de p ....

musique muliraire, se sont rendus chen la prende quantité de flambeaux et d'inne provison , les afficiers français de l'ératluit heures du soir , après avoir futune chincer les lausnges du Prophète , et res, des processionade fidules vincent Ctaient illuminees, Les muits , & dix heupenéral Dipuly et du cheyeb el-Bekey p. rigrande possije la fite de la naistance du Prophèto. Depuis le a jusqu'aq 6, la maison du Général en Chef, celles du ni por et de la garnison, précédés d'une faire des dantes sux flambeaux, faier à birnfaffe que Died, seus peut accordere Un a celebre tous ces jours-cl avec la

que a partitiement reutst. d'artifice fair parler artificiere du page, genient ; on a commence à cirer un feu Cineral en Chef est retourné à son losoupe servi seion l'usege du pays, le Apres avoir assure a un magnificue

therefore singuistry during the street ran O'm control and state of Owner in conservant le place de Nagab &l. Achfoitt le divan, de la pelisse d'hermine, en viluie cheykhel Betey, en présence de Le matin, le Général en Chefaraitre-

F' on out an grand non-bet In Leaner of ting the caused game cos despitates brouge, de celes qui concernent i'a iministrathe and perfectionnement action civiles - unite to drive pare sadebboys , , , dame L'earps'egidant parait est tout net nurmenté les législatures précécorrevoir le germe des dissensions qui i it i ice a se sienjusqu'à présent n'y fait earl sourgenodard ornance tres house or auspices, J'espris Républicain i l' commence sa carrière sous d'assez is tranquisted a fe mouveau ecreps frigu-Paréneur de la République jouir de FRANCE.

cheyan el-Bekey. Des décharges d'artiliene one annoncé le départ et l'arnée. l'administration torrqu'elle s'égarey sadesferment feues vies : mais ils sent sones an mainten du gouvernement il reurs Les Républicans sinceres sont reus ittème les prévarentions des semminiers. nutration avec le gouvernement. Cette STATES OF THE SECOND SECONDOPER DE des preniers à centurer et a redressee Conversement, consentent les laures et les aufres sous présente de détendre le argument coatre la forme republicame ; que arreur de l'administration comme un mes qui affretaient de confondre l'adinimailteur d'erre dominées par des homsembléce one presque toujours eur le imerer qu'on four sir faires : ces as n'ont jamais vools remédier, querques

du congres de Rastodi. aura une grande inflacace sur le résultat culateurs politiques présentent qu'ette parenede cette négociation; mais les apéche : l'affaire de dernifore est l'objet apcomte de Cobennet la maben d'Autotement du bas-Rhin ; François de le euttre de mégaciations à Selta dapete depar-Jenn-Debry. Il s'est étabil un autre cennuent : Treithard ya ere remplace par Chatenn , représents la France , et le Les conférences de Rastade conti-

dont la France a fait la demande lition de la forterette d'Ehrenbreistein parait pas décidee à consenire à la cumocoall'ion , s'y est fel ree ; ceste en ir ne to licatée de rentrer dans la nonce le On die que la rour de Berlin grant ete

a dange son uttaque " in la bate de Li. ve. n'are bit mean mal Le 28 prairis' and elle n's pas ca en aucces ; les bantenes recens bors de perice, et ses bombes de mes britte es de rette ; . traiotre saye pendant is seconde et hi cert êre bringer dark la sure su Havre, a crimee decare of practicle de perer quelques I e commodere argiais Strachan a cu-

## المؤلف

## و د. مصطفى عبد الفنى

- ولد في القاهرة عام ١٩٤٧
- رئيس القسم الثقافي بالأهرام والأهرام الدولي .
- عضو العديد من المؤسسات الثقافية في الوطن العربي منها لجنة الدراسات الأدبية بالجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة .
  - المستشار الثقافي لمجلة (بريزم) بوزارة الثقافة .
- حصل على أطروحة الماجستيسر عن (طه حسين ودوره السياسي) ثم على أطروحة الدكتوراة في فرع التاريخ الحديث والمعاصر ؛ وكان عنوان أطروحته والمثقفون وعبد الناصر ١٩٤٥ - ١٩٦٨) .
- شارك في مؤتمرات وندوات عديدة حصل منها على جوائز من جهات ثقافية مصرية وعربية .
- كتب منسروعه الفكرى في عديد من الجالات: فكتب في التاريخ والفكر والسياسة والتراجم والدراسات المقارنة والإبداع المسرحي والنقد الأدبي ونقد النقد حتى حصل على جائزة الدولة التقديرية في مصر في (النقد الأدبي) ؛ ووصلت أعماله إلى حوالي أربعين كتابا.
- درست أعماله فى جامعات غربية، فسعت (جامعة السوربون) بفرنسا على سبيل المثال - إلى تدريس كتاباته عن الفكر السياسي على يد الأستاذ جاك برك (بجامعة السوربون) فى الثمانينيات، وقررت على طلبة الدراسات العليا هناك.
- له العديد من المقالات والدراسات الهامة في عديد من الدوريات العربية منها:
   عالم الفكر، والمستقبل العربي، الناقد، فصول، القاهرة، البيان.. إلى غير ذلك.
- كذلك حصل على العديد من الجوائز العلمية منها: جائزة وزارة الثقافة المصرية عام ١٩٨٧، ونقابة الصحفيين المصريين ١٩٨٧، والمجلس الأعلى للثقافة في النقد عام ١٩٩٧، وجائزة الدولة التشجيعية في النقد الأدبى عام ١٩٩٧. .. إلى غير ذلك .

# ه نقد أدبي :

- الاتجاه القومي في الرواية : (ملسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٤ . (حصل على جائزة الدولة التشجيعية للنقد الأدبي ١٩٩٧)

: الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٩٩٩

- نجيب محفوظ، الثورة والتصوف: هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٩٤.
  - ~ الشرقاوي متمرداً: دار التعاون، القاهرة ١٩٨٧.
- قضايا الرواية العربية في نهاية القرن العشرين: المكتبة المصرية اللبنانية، القاهرة ٩٩٩.
- نقاد الرواية في نهاية القرن العشرين: الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.
  - نقد الذات في الرواية الفلسطينية : دار سينا، القاهرة ١٩٩٤.
  - الغيم والمطر، الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة: القاهرة ١٠٠١.
    - البنية الشعرية عند فاروق شوشة : هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٩٢.
    - عنصر المكان في شعر أبو سنة : هيئة قصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٣.
    - زكى نجيب محمود : سلسلة نقاد الأدب. هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٩٢.
- ولا يحد الوادة دارة أراده المادة ال
- الخروج من الشاريخ دراسة في (مدن الملح) لعبيد الرحمن منيف : هيشة الكتاب، القاهرة ١٩٩٣.
- المسرح المصرى في السبعينيات «ج۱» · الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨ .
- المسرح المصرى في الثمانينيات ٣٦٠: الطبعة الأولى، دار الوفاء، القاهرة ١٩٨٤. : الطبعة الثانية، الهنئة العامة للكتاب، القاهرة ٩٩٥.
  - في دائرة النقد : الجلس الأعلى للآداب ١٩٨٤ .

# • أعمال فكرية:

- طه حسين والسياسة : دار المستقبل العربي ، ج١ ، القاهرة ١٩٧٦ .
  - تحولات طه حسين: هيئة الكتاب، ج٢، القاهرة ١٩٩٠.
    - طه حسين وثورة يوليو: ج٣، القاهرة ١٩٨٩.
- المُفكَّر والأميِّر (العلاقة بين طه حسين والسلطة ١٩١٩ / ١٩٧٣) : هيئـة الكتاب، القاهرة ١٩٩٧ .
  - المثقفون وعبد الناصر: دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٢.
  - : مكتبة غريب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩.
  - مثقفون وجواسيس : دراسة في أزمة الخليج، دار الأمين، القاهرة ١٩٩٧.
- الشقف العربي والعولة: مهرجان القراءة للجميع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٥٠٥٧.
- شهرزاد في الفكر العربي الحديث: الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٥.
  - الجات والتبعية الثقافية: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٨.
- : الطبعة الثانية، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.
- الذاكرة المثقوية نهب وثائق العرب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.

- تيارات الفكر المصرى الحديث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩.
  - مستقيل الجامعة في مصر: د. ت.

# تاریخ حدیث ومعاصر :

- الجبرتي والغرب «دراسة حضارية مقارنة» : هيئة الكتاب، القاهرة ٩٩٥.
- الدور الأمريكي في اغتيال حسن البنا: مدبولي الصغير، القاهرة ٢٠٠١.
- مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث : دار الموقف العربي، القاهرة ١٩٨٠.
  - المؤثرات الفكرية في الثورة العرابية : هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٨٢.
- حقيقة الغرب: بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية: مركز الحضارة العربية، القاهرة ٢٠٠١.

# إبداع مسرحي:

- الحصار: مسرح شعري، هيئة الكتاب ١٩٨٤.
- الخروج من المدينة : مسرح شعري، الثقافة الجماهيرية ١٩٩٥.
  - اللاعب : مسرح شعرى، هيئة الكتاب ١٩٩٦.

# • أدب الرحلة :

- الرحلة إلى الله.
- الشرق شرق والغرب غرب.

# تراجم:

- أحمد بهاء الدين سيرة قومية : دار هلا، القاهرة ١٩٩٦.
- (حصل على جائزة أحسن كتاب عن عام ١٩٩٩) بمعرض القاهرة الدولي للكتاب
  - اعترافات عبد الرحمن الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٦.
    - عمالقة وعواصف : دار الجاد، القاهرة ١٩٩٨.

## الترجمة:

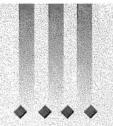
- الوداع : ترجمة آخر أشعار أراجون : هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٨٦.

# • سيرة ذاتية :

قبل أن يأتي الزهايمر: ترجمة ذاتية.

# : معاجم :

- معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر .



بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واهمًا ملموسًا حيًّا يتاثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجرية مصرية متمردة تستحق أن تنتشر في كل دول العالم النامي وأسعدني انتشار التجرية ومحاولة تعميمها في دول آخرى، كما أسعدني كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفاؤها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا نشاهيًّا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل، ورغم اهتماماتي الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان الشراءة للجميع ومكتبة الاسرة هي الابن البكر، وتجاح هذا المشروع كان سببًا قويًّا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قاطلة التتوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدراً اساسيًّا وخالدًا للثقافة، وتوالى مكتبة الأسرة، إصداراتها للعام الثامن على التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادا تقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطئى آهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

# سوزان مبارك

مطابع الهيثة المصرية العامة للكتاب

قرش 10٠

